وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم :اللغة العربية و آدابها

تخصص: دراسات نحوية دلالية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

السياق و التأويل في القرآن الكريم

إعداد الطالبة : علي باشا خديجة

إشراف الأستاذة : د. بلحيارة خضرة

لجنة المناقشة

د. :.....تامي مجاهد.....رئيسا

د.:.....زروقي معمر.....مناقشا

د. :.....بلحيارة خضرة.....مشرفا

السنة الجامعية : 1437هـ / 1438 هـ الموافق 2016م / 2017م

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وإلى من اتبعه بهداه إلى يوم الدين قال تعالى:﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد**﴾ سورة إبراهيم"07".

نشكر الله عزّوجل على نعمة العلم، ونحمده كثيراً على إنجاز هذا العمل، وأنا على أهبة إنهاء المشوار الجامعي لي الشرف الكبير أن أزجّ تحيات العرفان والتقدير لمن ساعدني من قريب أو بعيد في سقي هذه الثمرة وأشرف على نضجها وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

الأستاذة المشرفة "**بلحيارة خضرة** " التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عوناً لي في إتمام هذه المذكرة.

وإلى عميد كلية الآداب واللغات والفنون.

إلى رئيس قسم الآداب واللغة العربية "**د.زروقي معمر**".

إلى كل الأساتذة والدكاترة كل باسمه الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى من ساهم في طباعة هذه المذكرة "**عبد القادر،ونجاة**".

وفي الأخير أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يوفقني إن شاء الله إنه نعم المولى ونعم المصير.

إهداء

بادئ ذي بدء الحمد لله الذي لولا توفيقه وعونه لما تم هذا العمل واستوى أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي:

إلى روح أبي الطاهرة، رحمه الله " علي باشا حمادة ".

إلى التي حملتني جنيناً...وربتني صغيراً...ودللتني كثيراً...وملأت قلبي بحدائق الحنان والحب والعطاء وروت ظمأ حياتي بالأمان، وأحسنت أدبي وأتقنت تربيتي، ولقنتني أسمى الدروس في محبة النفوس وزرعت في نفسي أصول الطهارة والعفة، إلى من ضحت بالقليل والكثير والرخيص والغالي في سبيل دراستي وكرست حياتها لأجل سعادتي أمي الحبيبة "ديداوي عائشة".

إلى أحلى تحفة تزين حياتي، إلى أخي العزيز والغالي "بوبكر" أطال الله من عمره .

إلى جذور الوفاء وأغصان الطيبة إخوتي، الزرقة، زهرة، فتيحة وبالأخص الذكر الأخ الغالي" حمادة".

إلى الشمعتين التي تنير أجواء بيتينا والكتاكيت الصغار" منال" و"محمد".

إلى أزواج أخواتي "خياث، وجيلالي".

إلى ابن خياث "مداني".

إلى كل عائلتي وبالأخص بالذكر"عمي قداري جلول"و"خالي "بن ديدة ".

إلى كل زميلاتي وزملائي.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

وإلى من نسيه قلمي سهواً.

خديجة علي باشا.

يُعـد موضوع السياق والتأويل في القرآن الكريم من إحدى المواضيع التي حظيت باهتمام الدارسين، ولا يزال إلى غاية يومنا هذا نتاج هذه الأمة، ولقد تعددت الدراسات حول هذا الموضوع باعتبار هذا الأخير"السياق والتأويل" محل نقاش في أيامنا هذه، وذلك لأسباب عدة متنوعة.

كما أن الأدبيات المهتمة بالدراسات السياقية والتأويلية أصبحت تمثل مصدر ربح وفير للناشرين ومحور اهتمام بالنسبة لأغلبية الأكاديميين، فمنذ العقد الثاني من القرن العشرين حيث سلك نفسه في مجال (العلم) وشهدت هذه الدراسات، حركية جديدة اهتم بها الباحثون من مختلف الأكاديميات العربية أو الغربية.

ولقد تعددت الدراسات حول السياق والتأويل لتكشف عن أبعادها والإشكالات التي أصبحت تطرحها، فكثيرا ما يتساءل البعض عن طبيعة السياق والتأويل؟ وأهم التعريفات والمميزات؟ وعلاقتهما لبعضهما البعض ... إلى غير ذلك من التساؤلات التي تنبئ عن اهتمام الإنسان بها، ثم اهتمام القدماء والمحدثون من العرب والغرب بالسياق والتأويل في القرآن الكريم.

وهذه الإشكالية لازالت قائمة حتى يومنا هذا.

أهـــــمـــــية الـــــدراســـــة:

وتكمن أهمية الدراسة لهذا الموضوع فيما يلي:

_ أهمية دراسة السياق والتأويل في القرآن الكريم، خصوصًا أن معظم الدراسات ركزت فقط على طبيعة السياق والتأويل في حد ذاته دون الاهتمام الكبير بكيفية تعامل الأدباء معهما.

_ أهمية دراسة السياق والتأويل في القرآن الكريم من خلال معرفة العلاقة بين السياق والتأويل، وإجراء دراسة لهما في آيات قرآنية.

الإشكـــالـــية الرئـــيسة:

_ هل هناك علاقة واضحة بين السياق والتأويل؟

التســاؤولات الفـــرعـــيـة:

أما فيما يخص التساؤولات الفرعية تتمثل فيما يلي:

_ هل يمكن التوصل إلى تعريف جامع وشامل للسياق والتأويل ؟

_ ما هي الأهمية لكل منهما ؟وما هي أنوعهما والظواهر المشتركة بينهما ؟

_ فيما تتجلى علاقة السياق بالتأويل ؟

الـــفـــــرضـــيات:

ومن بين فرضيات المقترحة مايلي:

_ كلما كانت نظرة الأدباء والمعاصرين لدرس السياق والتأويل، كلما كان هذا الدرس تحمل نفعا محققا للقارئ العربي الذي يرغب في معرفة هذه الأدبيات.

_ كلما كانت هناك دروس لغوية تجاه السياق والتأويل، كان هناك خصائص ومخارج للسياق والتأويل في حد السواء.

_ كلما كان للسياق والتأويل قاعدة مشتركة، كلما استطعنا أن نقول إن هناك ظواهر مشتركة بين السياق والتأويل، كلما كان للسياق والتأويل في القرآن الكريم فائدة لدى القارئ، كلما أثرت على الدارسين والباحثين في التعامل مع السياق والتأويل في القرآن الكريم.

الإطـــار الزمـــاني:

والإطار الزماني لهذه الدراسة كان منذ القديم إلى غاية يومنا هذا أي2017 وذلك لعدة اعتبارات أهمها:

_ عرفت هذه الفترة نوعا من الاصطدام والصراع، فقد عرف الإنسان (النظر) في السياق والتأويل منذ القديم ولا نعرف على وجه التعيين متى بدأ هذا النظر، غير أن العلماء قد ارتضوا أن يكتفوا بما وصل إليهم من بحث لغوي.

_ في هذه الفترة كان هناك رابطاً واضح بين العرب والغرب في القديم ليس ربطًا دون قصد. وفي الواقع أن الدرس السياقي والتأويلي شهد طفرة كبيرة جدا في العقد الثاني من القرن العشرين، لكن تحديد الفترة الزمنية للموضوع مهم، حيث يجعل الدراسة محددة وأكثر دقة حتى يسهل على الباحث ضبطها والتعمق فيها من أجل دراستها.

ولقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي تتعلق بوصف وتحليل المفاهيم والرابط بين التأويل والسياق والتأويل والسياق بالقرآن الكريم؛ ومن خلاله يتم تقديم

دراسة تحليلية وصفية بين السياق والتأويل تجاه القرآن الكريم وكيفية نظرتهما كلا من الموضوعين مع هذه الأخيرة، وطبيعة الدراسة في تطبيقها للقرآن الكريم .

أهداف الدراســـة:

إن الهدف المرجو من هذه الدراسة في المجال العلمي هو تقديم بحث علمي يختص بالتعريف بالسياق والتأويل عموما وفي القديم والحديث تحديداً وقراءة روافدهما الفكرية والتعريف بأهم مفكريهم وروادهم الذين طرحوا فكرة السياق والتأويل كبديل لطبيعة الدراسة.

أما الهدف العلمي فهو توضيح واقع السياق والتأويل في القرآن الكريم والعلاقة التي تتضمنها، وما تضمنه من دروس التي وجهت اهتمامها لهذا الموضوع في العالم بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة.

واعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، ولقد ركزنا كثيرا فيها على (الإطار النظري) بشكل أساس فيما ينظر لهذين المفهومين والإطار التطبيقي الذي يختلف في علاقتهما بالقرآن الكريم وبالتفسير؛ أي على مجموعة من المصادر والمراجع المهمة التي تناولت مفهوم السياق والتأويل وأهم أنواعهما... وإلى غير ذلك، كما تناولت الدراسة أيضا الإطار العام للسياق والتأويل.

الصـعوبـــات:

ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة منها : كيفية إلمام المعلومات وترتيبها وإظهار معنى كل من السياق والتأويل، وصعوبة الانتقال لاقتناء المصادر والمراجع وقلتها إلا إننا حاولنا الإلمام ولو بالشيء القليل لإفادتكم، وقد اتبعنا الخطة التالية : مقدمة، مدخل وثلاثة فصول في كل فصل أربعة مباحث ماعدا الفصل الثالث والأخير ثلاثة مباحث وخاتمة .

أما فيما يخص **المدخل** فقد خصصته إلى تعريف السياق والتأويل عند القدماء والمحدثين.

أما **الفصل الأول** بعنوان: الإطار النظري لماهية السياق، ويحتوي على أربعة مباحث. المبحث الأول : مفهوم السياق، والمبحث الثاني:أهمية السياق، المبحث الثالث: أنواع السياق، والمبحث الرابع : أركان السياق.

أما **الفصل الثاني:** بعنوان الإطار النظري لماهية التأويل ويحتوي على أربعة مباحث. المبحث الأول : مفهوم التأويل، المبحث الثاني: أهمية التأويل، المبحث الثالث: شروط التأويل، المبحث الرابع: أنواع التأويل.

أما **الفصل الثالث** والأخير: بعنوان علاقة السياق بالتأويل وتطبيقهما في القرآن الكريم يحتوي على ثلاث مباحث المبحث الأول: علاقة السياق بالتأويل، أما المبحث الثاني: السياق في القرآن الكريم وكذا المبحث الثالث والأخير: التأويل في القرآن الكريم.

وفي نهاية هذا المبحث ختمنا بخاتمة كانت حوصلة لما جاء في العرض كله، وأتمنى أن نكون قد وفقنا في إعداد هذا العمل الذي ما كان لنا أن نتمه إلاّ بفضل الله عز وجل وعونه.

إن تحديد المفاهيم الأدبية ليست مهمة سهلة، وتتراكم الصعوبة عندما يكون المفهوم ملتبساً في ولادته، ومثقلاً بركام التأويلات التي تعزز الالتباس، والسياق والتأويل يعدّ أحد المفاهيم التي لازمهما التباس الولادة، وضباب التأويل. وعندما يغيم المفهوم ويعوزه الوضوح يسلك سؤال الباحث عن الوضوح سبيله الصحيح.

أولا:السيـــــاق عند القدماء والمحدثـــــين

يعدُّ موضوع السياق من الموضوعات الدلالية، نال عنايةً واهتماماً كبيراً قديماً وحديثاً وذلك لكشف المعاني الغامضة أو المبهمة. فقد اهتم القدماء والمحدثون من العرب وغيرهم "بالسياق" فجاءت تعريفات مختلفة لهؤلاء العلماء توضح الخصائص المشتركة للسياق، لكونه وسيلة مؤثرة لإظهار المعنى.[1]

ولهذا اهتم علماء اللغة قديماً بالسياق ومدى تأثيره على المعنى، من دون إهمال للظروف المحيطة بالحدث الكلامي، ومن خلال ربطهم لفكرة "المقام"و"المقال" فقد وجدوا إن اللفظ المجرد من سياقه لا يكشف المعنى، وقد ظهر ذلك عند أهم رموزه : كالجاحظ وابن جني وعبد القاهر الجرجاني الذي أبدع نظرية النظم التي قامت على دراسة السياق لتظهر

[1] محمد نجم الدين أنجه وعز الدين محمد أمين سليمان، **السياق بين القدماء والمحدثين**، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات قسم اللغة العربية، تاريخ الاستسلام 2012/01/04، تاريخ القبول 2012/02/02، ص01.

أفكارهم التي تصلح أن تكون نظرية متكاملة وقد ظهر جهدهم بما حواه التراث العربي من التفسير وعلوم القرآن والحديث والبلاغة والنحو، واللغة والصرف....[1]

1-السياق في الفــكر اللغوي العربي القديم:

مما لاشك فيه أن الكلمات ترتبط فيما بينها في السياق بعلاقتها بما قبلها وما بعدها فالسياق هو المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات، وسنوجز الحديث عن أهم الدراسات العربية القديمة التي اهتمت بالسياق ونقسمها كالآتي:[2]

أ-السياق عند علماء النحو:

إن فكرة السياق بشقيه الداخلي والخارجي مطروحة في الفكر الإنساني، ولا سيما الفكر العربي، فقد وجه علماء العربية عنايتهم إلى السياق منذ الفترة الأولى للتأليف في اللغة والنحو سواء في دراسة السياق الجزئي أو السياق الكلي. وهذا ما نجده واضحا في جهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) الذي بني معجمه (العين) وفق المدرج الصوتي، فقد بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي ومن ثم تقسيمه على ما يحتله من ألفاظ مستعملة، وأخرى مهملة لدى تقلب الحروف في التركيب لتعود ألفاظاً

---

[1] ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، الدكتور محمد إسماعيل بصل، وفاطمة بله، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، فصيلة محكمّة، العدد الثامن عشر، صيف1393هـ_2014م، ص01.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، **معجم العين**، مؤسسة دار الهجرة مطبعة الصدر، ط2، ايران1409هـ، ص252.

بداية ونهاية طرداً وعكساً، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها من الدلالة والمهمل من دون استعمال.[1]

وأما سيبويه (ت180 هـ) " فإن فكرة السياق عنده تكمن في هدية للنظام التحليلي الشامل، وإدراكه توظيف قرينة الحال أو المقام في توجيهه النحوي، فلم تغب هذه القرينة عن وسائل منهجه وتفسيره للكلام، إذا لاحظ خضوع الكلام المؤثرات المحيط الخارجي وملابساته، فالجملة عنده لا يمكن إن تتحقق صحتها بالنظرة الشكلية، وإنما من خلال ملاحظة ما يكتنف النص من مؤثرات السياق الاجتماعي وملابساتها للاستعمال لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمره فقال: أنا عبد الله مُنْطَلقاً، وهو زيد منطلقاً كان محالاً لأنه إنّمَا أرَادَ أَنْ يُخْبِرِكَ بالانطلاق ولَمْ يَقُلْ هو وَلاَ أنا حتى استغيثْ أنت عن التسمية، لأن هو وأنا علامتان للمضمر، وإنما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من نفي".[2]

" إلا أن رجلا لو كان خلف حائط أو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال:"أنا عبْد الله منطلقاً في حاجتك، كان حسنا وأما ما ينتصب لأنه خبر مبني على اسم غير مبهم فقولك: أقول عبد الله معروفا.هذا يجوز فيه جميع ما جاز في الاسم الذي بعدهُ وأخواتها ".[3]

---

[1] ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر نفسه، ص252 .

[2] سيبويه، تحقيق: الأستاذ عبد السلام محمد هارون، **الكـتاب**، دار الجيل، بيروت، ط1 ، د.ت، ج2، ص80 .

[3] المصدر نفسه، ص81 .

وأشار "**ابن جني**"[1] أيضاً: إلى دور السياق من خلال توضيحه لكلمة (الساق) في قوله تعالى:﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ ويُدْعَوْنَ إِلىَ السُجُودِ فلا يَسْتَطيعونَ**﴾.[2]

فيقول:" وإنما(الساق) هنا يراد بها شدة الأمر كقولهم: قد قامت الحرب على ساق" ثم يقول:" ولسنا ندفع ...أن الساق إذا أريدت بها الشدة كأنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلق القدم، وإنه إنما قيل ذلك، لأن الساق هي الحاملة للجملة المناهضة لها ".

ويستشف من كلامه أن دلالة الساق على شدة الأمر لشبهه بساق الإنسان التي تحمله، ويعتمد عليها في مشيه.[3]

ب-الـــسياق عند البلاغيين:

انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة (مقتضى الحال)، والعلاقة بين المقال والمقام، كما اهتموا بأحوال المتكلم والمستمع. وبالنظر إلى "المقال" على أنه يمثل "السياق اللغوي" فإننا نجد أن البلاغيين قد أولوه وأعطوهُ عناية كبيرة.وليس أدلّ على ذلك من ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، حيث يقول:" وجملة الأمر هي فيه ولكنا نوحيها لها موصلة بغيرها، ومعلَّقا معناها فعندما نقول في

---

[1] **ابن جني**: (994-1002):"هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل عام 322هـ.ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش، وتوفي ببغداد عن نحو 65عاما ".

[2] سورة القلم، الآيـة 42.

[3] محمد نجم الدين أنجه، وعز الدين محمد أمين سليمان، المرجع السابق، ص02.

لفظة (اشتعل).[1] من قوله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ اَلْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ اَلرَّأْسُ شيباً ولَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾.[2]

فهذه اللفظة (اشتعل) في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب ذلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها (الرأس) معرفاً بالألف واللام بمقارنته إليه الشيب مذكراً منصوباً".[3]

وكذلك أخذ البلاغيون حركات الشخوص وإيماءاتهم وإشارتهم باعتبارها عنصراً من العناصر التي تساعد على وضوح الدلالة التامة وإبرازها، بينما هي عند البلاغيين من العناصر التي تساعد على توصيل الدلالة إلى السامع والإفصاح عنها.[4]

وقد انتبه **الجاحظ**[5] (ت255هـ)إلى أهمية السياق، وعناصره ومقوماته التي أوصلها إلى خمسة عناصر هي: اللفظ والإشارة والعقد، والحظ، والحال التي تسمي ناصبه لذلك يحيط الجاحظ بالسياق ويسبق المحدثين في جعل السياق معتمداً على اللفظ والإشارة والصوت والحال، وهو ما عرف بالسياق اللغوي وغير اللغوي.[6]

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رضوان الداية، فايز الداية، **دلائـل الإعجاز**، دار الفكر، دمشق، ط1 1428هـ، ص364.

[2] سورة مريم ، الآية 03.

[3] عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص364.

[4] ينظر: نادية رمضان النجار، **اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين**، مراجعة وتقديم:عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص205.

[5] **الجاحظ:** "هو أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ رائد علم الحيوان بين العلماء العرب إلى جانب الشعر والأدب والفلسفة وترك ثلاثمائة وخمسون من كتاب ورسالة في كل العلوم وابتكر أسلوب فريد في العربية في النثر الفني المرسل، ومن أهم كتبه:كتاب علم الحيوان، البيان والتبين...وغيرهم".

[6] نادية رمضان النجار، المصدر السابق، ص364.

ج-السياق عـــند علماء التفسير:

عرف المفسرون منذ بداية التأليف في القرآن الكريم الفرق بين ظاهر الألفاظ ومعانيها فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقاً منهم بين المعنى(المقالي)، وهو مكون من المعنى الوظيفي يضاف إلى المعنى المعجمي، وهو يشمل القرائن المقالية كلما وجدت والمعنى المقامي وهو مكون من ظروف أداء المقال وهي التي تشمل على القرائن الحالية.[1]

ولعل معرفة السياق تقتضي معرفة المفسر بألفاظ اللغة العربية ودلالتها، ومعرفته بهذه العلوم معرفة تفصيلية، بل راحوا ينظرون ويستحضرون النص القرآني كله عند تفسير بعضه، يقول علماء التفسير في من أراد تفسير القرآن:" طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان قد فسر في موضع آخر منه...فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولّما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح".[2]

د-الســـياق عند الأصوليين:

تحدث الأصوليون كذلك عن السياق، ومنهم الإمام الشافعي رضي الله عنه(ت 204هـ) الذي أشار إلى دور السياق وأثره في فهم خطاب العرب، حيث يقول: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرفُ من معانيها اتساع

---

[1] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة،" مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994، ص339.

[2] جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1 1988، ص200.

لسانها، وأن فطرتَه أن يُخاطبَ بالشيء منه عاماً ظاهراً يُراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يُرد به العام ويدخُلُهُ الخاص، فيُستدَلُ على هذا ببعض ما خُوطبَ به فيه. وعاماً ظاهراً يُراد به الخاص. وظاهراً يُعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهرة فكل هذا موجودة علمُهُ في أول الكلام أو وسطه أو آخره.

وتبتدئ الشيء من كلامها يُبينُ أول لفظها مبنى عن آخره تبتدئ الشيء يُبينُ آخر لفظها منه عن أوله. وتكلمُ بالشيء تُعرفُهُ بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرُفُ الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به .دون أهل جهالتها. ونسمي الشيءُ الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة.

فالشافعي نوّه بدوره السياق، وإن جاء بذكر عبارات مختلفة، إلا أن المؤدّى والمضمون شيءُ واحد، وهذه العبارات هي: " يُستغنى بأول هذا منه عن آخره" و" يُستدَلُ على هذا ببعض ما خُوطبَ موجودُ علمهُ في أول الكلام أو وسطه أو آخره" ويبين أول لفظها فيه عن آخره" و "يُبينُ آخر لفظها منه عن أوله".[1]

ويُستَنتَج من ذلك أن السياق: ما يُبينُ أول لفظه عن آخره أو آخر لفظه عن أوله وهو توافق معنى الكلمة مع معاني الكلمات الأُخرى السابقة واللاحقة في التركيب الذي وردت فيه والكلمة. وعليه فإن مفهوم السياق عند القدامى أصبح شكل من المشكلات التي من صحب تحديدها وإيجادها في عصرنا الحالي.

[1] ينظر: محمد نجم الدين أنجه وعز الدين محمد أمين سليمان، المرجع السابق، ص02 .

2-الســـــياق عند المحدثين:

ذكرنا فيما سبق أن موضوع السياق من الموضوعات الدلالية التي نالت عنايةً واهتماماً كبيراً قديماً وحديثاً، لهذا فقد اهتم المحدثون من العرب والغرب بالسياق كما اهتم به القدماء، واختلف فهمهم للسياق، وكذا اختلافهم في تعريفهم له أيضاً، بإعتباره وسيلة مهمة ومؤثرة لفهم المعنى ومن العرب الذين اهتموا بالسياق وتكلموا عنه:

ـ **الدكتور تمام حسان الذي يقول:**" تمتد قرينة السياق على مساحةٍ واسعة من الركائز تبدأ باللغة... وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية".

ـ **ويقول الدكتور فاضل السامرائي:**" السياق هو مجرى الكلام وتسلسله وإتصاله بعضه ببعض. "كما يقول الدكتور عبد الجليل" السياق هو ضم الوحدات اللغوية بعضها إلى بعض وإحكام شدِّ أجزائها، اتصالاً وتتابعًا. وما تعكسُه من دلالة في النص أو الحديث.

أما الغربيون فقد تناولوا السياق أيضاً ومن هؤلاء: **فاندايك** الذي يقول:" السياق هو متوالية من أحوال اللفظ" أو " هو عبارة عن إتجاه مجرى الأحداث، وقد يكون اتجاه الأحداث هذا دالاً على حالة ابتدائية، وأحوال وسطى وحالة نهائية"

ويقول ياكبسون:" إن السياق هو المضمون الذي يَتَمثَّلَهُ المرسل إليه، وهذا المضمون يكون إما لفظياً أو قابلاً لأن يصير كذلك".[1]

[1] المرجع نفسه، ص11.

بالإضافة إلى **ستيفن أولمان** الذي يقول عن السياق بأنه:" النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة. إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل. لا الكلمات والجُمَل الحقيقية السابقة، واللاحقة.[1]

فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله– كما ينبغي أن يشمل– بوجهٍ من الوجوه– كل ما يتصل بالكلام من ظروف وملابساتها والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطقُ فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن".[2]

ويقول جون لاينز:" بأن السياق يحدد معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص، فهو يحدد:

أولاً: أية جملة تم نطقها– أن تم فعلا النطق بجملة.

ثانياً: يخبر عادة أية قضية تم التعبير عنها– أن تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة اللاكلامية دون غيره.

ويكون السياق في الحالات الثلاث هذه ذا علاقة مباشرة بتحديد ما يقال حسب المعاني المتعددة التي يحملها الفعل.[3]

---

[1] ينظر: أولمان ستيفن، ترجمة: كمال بشير، **دور الكلمة في اللغة**، مكتبة الشباب، القاهرة، ط3، 1972، ص62.

[2] المرجع نفسه، ص62.

[3] جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة : د.بوئيل عزيز، **اللغة والمعنى والسياق**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987، ص322.

ثانياً: التـــــأويل عند القدامى والمحدثين

إن التأويل من المسائل المهمة حيث إنه يسهم في الإطلاع على حقيقة المقاصد لكثير من النصوص التي لا تفهم تستبين بغير التبصير وإعمال النظر، لقوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾[1]؛ فدلالة النصوص الشرعية على الأحكام أغلبها ظنيّ، من أجل ذلك حث الله سبحانه تعالى أصحاب العقول النيرة على تدّبر آياته.

1-الـــتأويل عند القدامى:

أ-التأويل عند الأصوليين:

إن المتتبع لمصطلح التأويل عند الأصوليين يجد أن المصطلح له معنيين، وكل معنى كان له دلالته المختلفة، والتي كانت نتاجٍ فكر المفسرين، ففي المرحلة الأولى المبكرة نجد أن معنى مصطلح التأويل كان بسيطاً غير مركب، حيث قرن الأصوليون التأويل بمعنى التفسير فلا فرق بين المصطلحين بذكر الطبري(ت310هـ) في تفسيره **قال أبو جعفر**:" وأما معنى التأويل في كلام العرب"، فإنه التفسير والمرجع والمصير.

وقال أبو القاسم النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط".

[1] سورة ص، الآية 29.

أما تعريف التأويل عند **بنى أبو هلال**(ت395هـ):" أنه استخراج معنى الكلام لا على ظاهره، بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة، وربما يكون تعريف **القاضي عبد القاهر الجرجاني**(ت740هـ):" التأويل في الأصل الترجيع؛ وفي الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة.[1]

ب- التأويل عند علماء اللغة (النحاة):

إن المتتبع لمصطلح التأويل في عرف علم التفسير، يقول:"**الحموز**" في هذا :" ولست أذهب إلى أن الكلمة اكتسبت معنى جديداً في مؤلفات النحو يغاير معناها في التفسير لأن كثيراً من تأويلات النحويين يدور في فلك المعنى أو تأييد أحد المذاهب. ولست أنكر أيضاً أن كثيراً من التأويلات يدور في فلك الأصل النحوي لتعزيزه والمحافظة عليه من تلك الشواهد التي تحزمه".

ويقول **أبو حيان التوحيدي** في كتابه:" التذييل والتكميل في شرح" بأن:" التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول، أمّا إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلاّ بها فلا تأويل"، فيرد إليها بالتأويل، أمّا إذا كان ما جاء عن العرب مخالفاً للقاعدة لغة قوم بعينهم فلا يحتاج إلى تأويل، لأنّه لغة واللغة حجةً، بحيث يرى تمام حسان أن ظاهرة التأويل إنما لجأ إليه المتعاملون مع النصوص، عند عدم تطابق القاعدة مع

[1] صادق عبد الله أبو سليمان، إعداد الطالب: رياض محمد علي أبو رحمة، رسالة ماجستير عربية_علوم لغوية،" **التأويل النحوي في جزء عم**، دراسة تحليلية، جامعة الأزهر-غزة.عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (1991م-1412هـ)، ص11-12 .

كل ما مسمع ولأن النحاة كانوا حريصين على تفسير كل ما سمع في ظل القواعد والأصول المستقرأ.[1]

ويرى بعض النحاة أن التأويل استخدم عند القدماء نتيجة لأمرين(عاملين):

الأول: فهو أصول النحو. وأما **الثاني:** فهو الجهد الذهني العميق. فالسبب في وجود التأويل في النحو نظريات أصول مثل العامل والمعمول والعلة والمعلول والقياس، وقد نماه النظر العقلي وأبدع فيه حتى وصل به إلى درجة التعمية والإلغاز، فهو يرى أنّ النحاة اعتصروا النصوص اللغوية اعتصاراً لتتوافق مع تلك الأصول. وحرصوا على تفسير كل ما سُمع في ضوء الأصول والقواعد إلاَّ ما نذر أو أشد.[2]

والتأويل أيضاً:" عند النحاة وسيلة يذللون بها كل صعب لينسجم النص المروي وقواعدهم **(المقررة)**، ولفظة التأويل تشبع في مؤلفات النحو المختلفة وهي تدور في فلك حمل النص على غير ظاهره لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي، وكذا الأساليب المختلفة التي تهدف إلى إشباع صفة الاتساق على العلاقة بين النصوص والقواعد، بحيث رفض **الدكتور عبد الستار الجواري الجنوح** إلى التأويل وكنّاه بالتقدير الذي هو أحد مسميات التأويل، **وقال:**" قد يكون غرضهم في التقدير محض توجيه للقاعدة النحوية ومحض التزام بالصناعة

---

[1] ينظر: التأويل النحوي وإسقاطاته عند ابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل، أ.د.بوجعلين لبوخ، أ.مهدي عز الدين شنين، " **مجلة الأثـر**"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، العدد20، جوان2014، ص46.

[2] ينظر: التأويل والتحويل في النحو العربي وموقف المحدثي، د.سلام عبد الله محمود عاشور" أستاذ مشارك في النحو العربي والصرف"، " **مجلة جامعة تكريت للعلوم**"، جامعة الأقصى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، المجلد19، العدد11، تشرين الثاني، 2012، ص211-212.

الكلامية، إلا أنّه على كل حال عبث بالنص، وخروج عن المعنى الذي أريد به وهو بعد ذلك كلّه تضييع لفنية الأسلوب لا يفتقر فيه التذرع بالالتزام القاعدة التي لم تستكمل أسباب قيامها بالاستقراء الشامل".[1]

ج-الــتأويل عند علماء البلاغة:

لم تكن الدراسة الأدبية بعد نزول القرآن بمعزل عن مجال دراسة النص الديني، فقد لا تخلو كتب هذه الدراسة من الشواهد الأدبية للاستعانة بها في الفهم والترجيح كما أن النص الديني في حدّ ذاته يتميز بخصائص أدبية وفنية، أثارت بواعث المتذوقين إلى الكشف عن هذه الخصائص فشرعوا يدرسونها، فتمثلت لهم في إعجاز هذا النص، كما يكشف عن ذلك عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، إذا عكف على البحث عن أسرار إعجازه، فكشف عن جوانب عدَّة تلك التي جعلت منه نصّا معجزاً كالنظم.

ويشير **عبد القاهر الجرجاني** في حديثه عن الفظ يطلق ويراد به غيره:" إن لهذا الضرب اتساعاً وتفنياً لا إلى غاية إلا أنه على اتساعه يدور في الأعم على شيئين:الكناية والمجاز...فإذا ورد في أسلوب بلاغي والبلاغة قوام الأدبي هذه المرأة نؤوم الضحى".[2]

---

[1] أكرم نعيم عطوان الحميداوي، بإشراف: أ.د.فاخر جبر مطر، رسالة ماجستير في الغة العربية وآدابها،" **التأويل النحوي عند الفخر الرازي (ت606هـ) في مفاتيح الغيب**، جامعة الكوفة،كلية الآداب-قسم اللغة العربية، (1429هـ-2008م)، ص16.

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، مصدر سابق، ص52-59،(بتصرف).

يمكن من خلال هذه العبارة أن نتوصل عن طريق الفكر وإعمال العقل إلى ما تشير إليه.وهو أنها المرأة مترفة محذوفة،والتأويل يقوم بمثل هذا العمل في صرف ألفاظ العبارة الأولى من معناها الظاهر إلى المعنى المقصود.

وقد ذكر **عبد القاهر الجرجاني** ما يقتضي بمؤول النص الديني من معرفة الأسلوب ومقاصده وتذوق إيحاءاته ومراميه، ليتجنب الوقوع في فاسد التأويل وباطله بحيث؛**يقول:**" لابد لكلام تستحسنه،ولفظ تستجده، من أن يكون لا ستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة، أن يكون للعبارة عن ذلك سبيل. وعلى صحة ما ادّعيناه من ذلك دليل وهو باب من العلم إذا أنت فتحته، أطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً، وفائدة جسمية، ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل".[1]

ومثال: قوله تعالى: ﴿ **قُلُ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوُاْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾.[2]

ثم لم يعلم أن ليس في(**ادْعُوا**) الدعاء(فهو من صيغ الأمر المنصرفة إلى معنى الدعاء)؛ وإنما يعلم أن معناها الذكر بالاسم، وأن في الكلام محذوفاً، والتقدير، ﴿ **قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾.

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص288.

[2] سورة الإسراء، الآية 110.

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا:" كان بغرض أن يقع في الشرك من حيث أنه إن أجرى في خاطره أن الكلام على ظاهره خرج ذلك به إلى إثبات مدعوين لله تعالى أن لا يكون له شريك".[1]

فالتأويل في هذه الصيغة أو المقام لم يخرج في مفهومه عن الإطار العام للتأويل من صرف اللفظ عن ظاهره للتعرف على ما وراء هذا الظاهر من دلالات، فالنص قد يكون مشبعاً بالتشبيهات والمجازات دون التصريح لهذا لابد من وجود التأويل للوصول إلى الأغراض والمقاصد.

د-التـــأويل عن المفسرين:

كان للتأويل دور كبير عند علماء التفسير(**المفسرون**) وفي هذا المقام سنقدم لمحة موجزة عن ظاهرة التأويل في تلك البيئة.

1-التـــأويل:" صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط".

2-" نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وكما وضع له في اللغة إلى معنى آخر فإن كان نقله قد صح ببرهان، وكان نقله واجب الطاعة فهو حق وإن كان نقله بخلاف ذلك طرح ولم يلتفت إليه وحكم ذلك النقل الباطل".[2]

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص288.

[2] أكرم نعيم عطوان الحميداوي، بإشراف: أ.د.فاخر جبر مطر، المرجع السابق، ص16.

2-التـــأويل عند المحـــدثين:

يكاد يجمع العلماء المحدثين على أن التأويل عندهم هو ما مارسه علماء اللغة النحويون من تخريجهم النصوص وتأويلها حتى تتفق مع أصولهم، **يقول الدكتور السيد أحمد عبد الغفار**:" التأويل هو حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النحو.

ويقول الدكتور الخثران:" التأويل في المصطلح النحوي يعني النظر في النصوص والأساليب التي ورد ظاهرها مخالفاً للأحكام والأقيسة التي استنبطها النحاة واعتمدوها ومحاولة توجيهها وجهة تجعلها متفقة مع هذه الأحكام والأقيسة غير مخالفة لها " وعلى هذا الأساس فإنّ النحويين مارسوا التأويل والتخريج عندما تدعو الحاجة والصناعة النحوية إلى ذلك،وهم على صواب في كثير مما فعلوا، لو أنّهم ابتعدوا عن تلك التأويلات التي لا تخدم المعنى.

ويرى الأستاذ **علي النجدي ناصف**[1]، أحد العلماء المحدثين أن فكرة التأويل فكرة هامة وضرورية في النحو العربي، فالنحاة لم يتكلفوا التأويل ولم يصطفوه، وإنما اعتمدوا على مبادئ سليمة في قياس النظير على النظير والاستدلال بالحاضر على الغائب، ولهذا فإنّ

[1] **علي النجدي ناصف:(1315هـ-1402هـ/1898م-1982م)**،" أديب ، لغوي ولد في قرية الصنافين القبلية التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، ودخل الكُتاب فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف ينهل فيه من موارد اللغة والآداب وبين تأليف كثيرة منها:سيبويه إمام النحاة ،والدين والأخلاق في شعر شوقي ...ودراسة في حماسة أبي تمام...وغيرها.

التأويل والتقدير في نظره ضرورة يحتاج إليها علم النحو فيبعض أبوابه؛ فالتأويل في الدرس النحوي يستلزم التقدير الذي قد لا يتم المعنى إلاّ به، ولا تتضح إشاراته إلا بذكر المحذوف ورد الأسلوب إلى نظمه، ولن يحدث ذلك إلا عن طريق التأويل ووسائله".[1]

[وفي صفوة القول فإنَّ مفهوم كل من السياق والتأويل عند العلماء القدامى جاء تمهيداً لجذر بدايتهما ولتوضيح معنى كل من هذين المصطلحين والفائدة منهما وبعد فلا بُد أيضاً تحديد مفهوم ثنائية كل من السياق والتأويل عند العلماء المحدثين بعدما تم معرفة كل واحد منهما عند القدامى].

[1] إعداد الطالب :علي بن محمد بن أحمد الشهري، إشراف الأستاذ الدكتور/سعد بن حمدان الغامدي، رسالة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها تخصص النحو والصرف " **التأويل النحوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير الفخر الرازي**، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية ،قسم الدراسات العليا فرع اللغة 1426هـ، ص12-13.

تحتوي ماهية السياق لهذه الدراسة على أربعة مباحث حيث يهتم المبحث الأول بتقديم دراسة نظرية حول مفهوم السياق، أما المبحث الثاني فيهتم بدراسة أهمية السياق والمبحث الثالث تكون دراسته حول أنواع السياق، ليأتي المبحث الرابع والأخير بعنوان أركان السياق.

المبحـث الأول: مـفـهوم السيـــاق

يعتبر السياق مصطلح كبقية المصطلحات من أجل التعرف على جوهره ومعرفة معناه لا بد من تحديد مفهومه اللغوي أولا ومن ثم نتعرض إلى المفهوم الاصطلاحي والمتأمل والباحث في المعاجم العربية يجد أنه لا يوجد معجم عربي يكاد يخلو من لفظة السياق وسوف نعرف بعون الله تعالى السياق لغة معتمدين على بعض المعاجم العربية.

أ_ التعريف اللغوي:

جاء في مادة (سوق) يقول الساق: معروف، ساق الإبل وغيرها, يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسّواق.....وقد اتساقت وتساوقت الإبل تساوقا تتابعث، وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأتساقه، وإن كان دراهم أو دنانير لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدراهم والدينار وغيرهما. [1]

وساق فلان من امرأته أي أعطاها مهرها والسيّاق المهر، قيل للمهر سوق لأنّ العرب كانوا إذا اتزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا، لأنها كانت الغالب على أموالها وضع السُوقَ

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408_1988، ج10، ص 166_167.

موضع المهر وإن لم يكن إبلا وغنما، وأساقه إبلا: أعطاه إياها يسُوقُها، وسَاقَ بنفسه سياقا نزع بها عند الموت تقول: رأيت فلان يَسُوقُ سُوقًا أي ينزع نزعًا عند الموت.

يقال فلان في السياق: أي في النزع وللسياق نَزعُ الروح، وأصله سِواقَ فقلبت الواو ياء بكسرة السين وهما مصدران من ساق يسوق، وفي الحديث دخل سعيد على عثمان وهو في السّوق كأن روحه سَاق لتخرج من بدنه ويقال له السّياق أيضا.[1]

(هكذا يبدوا لنا واضحا من خلال المادة اللغّوية التي قدّمها لنا ابن منظور أنّ لفظ السياق يشير إلى ثلاث دلالات فيه:

_ الحدث وهو سوق الإبل، وهو المعن الحسي الأصلي للكلمة، ثم انتقل عن طريق المجاز إلى الدلالة على المسوق، والمهر إبلا أو غنما أو غيرهما.

_ الدلالة على نزع الروح، لحدوث ذلك حال الموت.

_ الدلالة على الظرف أو الحال التي يحدث فيها الحدث لعلاقة زمانية، فقد أطلق على حال الموت (سياق الموت).[2]

وورد في معجم الوسيط في المادة نفسها (ساق الله خيرّ وتعوه، بعثه وأرسله وساقت الريح التراب والسحاب رفعته وطيرته، وساق الحديث: سرده وسلسله.....وسياق الكلام: سَرْدُهُ وأسلوبه الذي يجري عليه).[1](فهذا يعني أن سياق الكلام من تواليه وتتابعه وتسلسله).

---

[1] ابن منظور، مرجع نفسه، ص 167.

[2] فريد عوض حيدر، **سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ص08.

جاء في أساس البلاغة قول **الزمخشري**[2]: ".....ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا وساق إليها المهر وساقت الريح السحاب...والمحتضر يسوق سياقا، وفلان في ساقه العسكر: في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد وهو يساوقه ويقاوده وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق و" إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سُوقِه: على سرده... وقامت الحرب على ساقها، وكشف الأمر عن ساقه...."[3].

إذن إضافة إلى ما دل عليه السياق فإنه يدل على دلالة مجازية، متمثلة في سياق الحديث الذي يعد مجال الدراسة: ويقصد بالسرد: التوالي والتتابع.

وقال **ابن فارس رحمه الله**[4]: " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حد والشيء يقال ساق يسوق سوقا والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأسقته والسوق مشتقة من هذا، لها يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره

---

[1] إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار"، **المعجم الوسيط**، مطبعة مصر، 1960، ص 465.

[2] **الزمخشري**: " هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد في زمخشر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة 467هـ/1074م وتوفي,,ليلة عرفة سنة 538هـ/1143م في جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة، يقول السمعاني في ترجمته: " برع في الآداب، وصنف التصانيف، وهو صاحب الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".

[3] الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ_2001م، ص 314.

[4] **ابن فارس**: " هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويين الرازي (329هـ_1004م/395هـ_1004م) لغوي وإمام في اللغة والأدب قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان أصله من قزوين وأقام مدة في هذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها وله مؤلفات كثيرة منها: معجم مقاييس اللغة وهو من أشهر كتبه، الإتباع والمزاوجه اختلاف التجويين....وغيرهما".

والجمع سُوق، وإنما سميت بذلك لأن الإنسان ينساق عليها... وسوق الحرب: حومه القتال".[1]

يتضح مما سبق أن للسياق عدة معاني منها: نزح الروح، والمهر، وأسلوب الكلام والبعث والإرسال والتتابع، ويعنيان من هذه المعاني الكثيرة معن واحدا هو أسلوب الكلام.

أما في استعمال اللغويين من غير أصحاب المعاجم فقد ورد لفظ السياق مرادا به المعاني الآتية:

أ_ تتابع الكلمات في الجمل في النصوص وقد ورد ذلك في استعمال ابن جني للفظ عندما قال: " وليس يجوز أن يكون ذلك (أي تكلف ما تكلفته العرب من الاستمرار على وتيرة واحدة وتقربها في كلامها منهجا واحدا تراعيه وتلاحظه) كله في لغة لهم وعند كل قوم منهم اتفاقا وقع حتى لم يختلف فيه اثنان ولا تفارقه إلا وهم له مريدون وبسياقه على أوضاعهم فيه معينون".[2]

[1] أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل، بيروت، ط2، 1420هـ، ص 117.

[2] ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، **الخصائص**، الهيئة المصرية كالعامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ، ص 228.

وقال **الفيروز أبادي رحمه الله**[1]: " والسياق ككتاب: المهر....والمُنساق: التابع، والقريب وتساوقت الإبل: تتابعت وتقاودت، والغنم: تزاحمت في السير".[2]

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور في فلك التتابع والاتصال، فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

ب_ التعريف الاصطلاحـي:

السياق في الاصطلاح هو الذي يساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين المتكلم والسامع.[3]

والسياق هو البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة وتستعد أيضا من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجمع عناصره، من متكلم ومستمع وغير ذلك، من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها الكلام.[4]

---

[1] **الفيروز أبادي:** " هو أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي، ولد بكازرون وهي بلدة فارس سنة 729م، صاحب اللامع المعلم العجاب، الجامع بين المحكم والعياب، والقاموس والعياب، والقاموس المحيط، والقاموس الوسيط، ومعنى كلمة القاموس معظم البحر، أقبل على التصنيف في علوم مختلفة كاللغة والتفسير والحديث والتاريخ والفقه، مات في زبيد سنة 817هـ.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1416هـ، ص 335_336.

[3] ينظر: عبد الواحد حسن، **التنافر الصوتي والظواهر السياقية**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999، ص 30.

[4] ينظر: فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، **علم الدلالة النظرية والتطبيق**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 111.

وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظا تحمل مدلولا مترادفا، ولكنها في السياق تعطي مدلولا مغايراً، ومثال: ذلك (الغيث) و(المطر) قال **الجاحظ:** " وقد يستخفُّ الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحقُّ بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المُدّقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذِكر المطر وبين ذِكر الغيث".[1]

فكلاهما عندهم بمعنى واحد فالغيث: المطر والكلأ، والمطر: الماء المنسكب من السحاب".[2]

(ولكن المعنى في القرآن الكريم مختلف إذ أن الغيث معناه الماء المنسكب من السماء رحمة للعباد، وهو سبب في زيادة الخير والنماء والزرع وهو متاع للناس والأنعام).

لقولـــه تعـــالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾.[3]

وقولـه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾.[4]

---

[1] الجاحظ: تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، **البيان والتبيان**، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت)، ص 20.

[2] ابن منظور، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، **لسان العرب**، دار لسان العرب، بيروت، (د ت)، ص 1034.

[3] سورة الشورى، الآيـة 28.

[4] سورة لقمان، الآية 34.

(في حين دل المطر على نقمة الله على الكافرين المعرضين أرسله الله تعالى عقابا للأمم الكافرة والأقوام الساحرة في غيّها).[1]

ويعرف بعض الدارسين السياق بأنه بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة".[2]

ولهذا شبه بعضهم علاقات السياق بنسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة، ويستحيل إعطاء معنى كلمة دون وضعها في نص.

ويحدد السياق معنى "الوحدة الكلامية" على مستويات ثلاثة في تحليل النص وهي:

1_ يحدد أية جملة تم نطقها.

2_ يخبر من أية قضية تم التعبير عنها.

3_ يساعد على القول أن القضية تحت الدرس قد تّم التعبير عنها بموجب نوع من القوة غير الكلامية دون غيره.[3]

[1] ينظر: عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985م، ص 507.

[2] ينظر: إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986م، ص 210.

[3] ينظر: جون لاينز، المرجع السابق، ص 83_222.

يقول **د. عبد الرحمن بودرع**[1]: " السّياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النّص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدمّها النّص للقارئ".[2]

أما السياق عند الأصوليين:

فالأصوليون هم علماء الفقه أو الفقهاء الذين تحدثوا عن الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد اهتم هذا الفريق من العلماء بالسياق اهتماما كبيرا، واعتدوا به وسيلة للكشف عن المعنى المراد.

وقد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين الشافعي الذي يعد أول من ألف في علم الأصول في معرض كلام له في كتاب "الرسالـة".[3]

حول اللسان العربي حيث قال:".... إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان ما تعرف من معانيها اتّساع لِسانها، وأن فطرته أن يُخاطبَ بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العامُّ الظاهر، ويُسْتَغْنَى بأول هذا منه من آخره، وعاماً

---

[1] **عبد الرحمن بودرع:** " أكاديمي وكاتب لغوي مغربي، أستاذ التعليم العالي بجامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تخصص علوم اللغة العربية (لسانيات النص وتحليل الخطاب) بتطوان منذ سنة 1982م، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مؤلفاته عديدة منها: منهج السياق في فهم النص، قضايا معاصرة من واقع الأزمة.

[2] عبد الرحمن بودرع، **منهج السياق في فهم النص**، سلسلة كتاب الأمة، العدد 111، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، السنة السادسة والعشرون، ص 17.

[3] ينظر: الدكتور حسين حامد حسان، **المدخل إلى الفقه الإسلامي**، مكتبة المتبني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1979م، ص87، ص88، ص 103.

ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خُوطب به فيه، وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف سياقه أن يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره".

ويواصل **الإمام الشافعي** بما ينم عن الدراية العظمى المشهورة عنه في اللغة في إضافة توصيف لنسق التواصل اللغوي عند العرب، فيشير إلى قضية مهمة من قضايا السياق هي "سياق النص" حين يشير إلى مفهومه وإن لم يصرح به في قوله:" وتبتدئ (أي العرب) الشيء من كليهما يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله".[1]

واعتمد الأصوليون (علماء أصول الفقه) على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية، إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى وقد وعوا تماماً أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، **الأولى:** هي القرائن اللفظية، **والثانية:** هي القرائن المقامية وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص.[2]

[وعليه فإن الأصوليين استفادوا من قرائن السياق التي تعد من وسائلهم في تحديد المعنى، كما وقفوا على الأثر البالغ الذي تحدثه هذه القرائن في تكوين الدلالـة].

[1] الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، **الرسالة**، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1399هـ، ص 52.

[2] ينظر: محمد يوسف حبلص، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991، ص 12.

المبحث الثـانـي: أهمـــيـة السيـاق

يتناول هذا المبحث تحديد أهمية السياق، والتي حظيت بإهتمام كبير لدى المفكرين والأدباء وتظهر أهمية السياق فيما يلي:

1_ أنه يعين على بيان المعنى وتحديده.

_ قال **ابن تيمية رحمه الله**[1]: " فتأمل ما قبل الآية وما بعدها، يطلعك على حقيقة المعنى".[2]

_ وقال **ابن قيم الجوزية رحمها الله**[3]:" السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعلام القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته.

يبين في هذا القول ابن قيم الجوزية أهمية السياق في بيان المعاني ودلالة المفردات ومعرفة المراد من الكلام.

---

[1] **ابن تيمية:** " هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (661هـ/1263م حران_728هـ/1328م دمشق)، المشهور بـ ابن تيمية، فقيه وعالم مسلم مجتهد شديد التأثر بأصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتميزت أعماله بإعتماد نص الكتاب والحديث وترجيحه على العقل والقياس، ومن مؤلفاته: مجموع الفتاوى، دقائق التفسير الفتوي الحموية، وتوفي في ليلة يوم الإثنين لـ 20 من ذي العقدة سنة 728هـ".

[2] ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الحليني، **دقائق التفسير**، مؤسسة علوم القرآن دمشق، ط2، 1404هـ، ص 313.

[3] **ابن قيم الجوزية:** " شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرعي ثم الدمشقي الثامن الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ولد في (7 صفر عام 691هـ، الموافق 2 فبراير 1292) من علماء المسلمين في القرن الثامن الهجري وصاحب المؤلفات العديد منها: بدائع الفوائد، أحكام أهل الذمة، التبيان في أقسام القرآن وغيرها، توفي في ليلة الخميس 1349/07/5".

وقد أورد **ابن قيم الجوزية رحمه الله** مثالا لذلك في قوله تعالى:﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾.[1]

فلو نظرنا إلى هذه الآية معزولة عن سياقها التي وردت فيه لا حتمل الأمر أن يكون المراد منها التكريم والتعظيم لكن بالنظر إليها وسط سياقها نجد أنها تدل على السخرية والاستهزاء ممن وجهت إليه.[2]

يقول صاحب كتاب التطور الدلالي معقبا على هذه الآية: " ولا يخفي أن نطق كلمة [ذُقِ] هنا لا بد أن يكون منبورا شديدا، وكذلك التوكيد في: [إِنَّكَ] ثم نغمة التهكم والسخرية في [الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ] لأن سياق الآيات العجيب يحتم ذلك، ويلاحظ كذلك اختيار كلمة "اعْتِلُوهُ" (الدخان 47) دون غيرها لكي توحي بأن هذا الذي يدعي العزة والكرامة في الدنيا سوف يُقتلع من مكانته هذه ويُلقى في سواء الجحيم".[3]

2_ وأنه مهم في بيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف.

يقول **مسلم بن يسار رحمه الله:** " إذا حدثت عن الله حديثا فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده".[4]

وهذا يدل على الاهتمام بالسياق في كل تفسير قلْ أو كَثُر.

---

[1] سورة الدخان، الآية 49.

[2] ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق هشام عطا وآخرون، **بدائع الفؤائد**، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، ط1، 1416، ص 815.

[3] عودة خليل أبو عودة، المرجع السابق، ص 81.

[4] إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ، ص 07.

ويقول **الكلبي رحمه الله:** من أوجه الترجيح " أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله، وما بعده".[1]

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير **ابن كثير رحمه الله**_لقوله تعالى:﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾[2]، **قيل معناه:** يَنظُرُونَ في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، **وقيل معناه في قوله** أيضا إلى الله عز وجل ينظرون.

وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[3] فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم".[4]

من هنا يظهر لنا أن ابن كثير رحمه الله نظر إلى سياق الكلام في سابقه **(ما قبل الكلام)** تصحيحاً لهذا التفسير حيث إن الآية تُحمل على المعنيين لكن ابن كثير رجّح أحدهما باعتبار السياق.

ومثال ذلك أيضا: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ** ﴾[5] حيث استُدل بهذه الآية على أن أول نزول القرآن كان في ليلة السابع عشر من رمضان، في غزوة بدر **فقيل:**" الظاهر أن معناه: وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا محمد من الوحي والملائكة والفتح في ذاك اليوم للمسلمين بسببها شوكة ودولة، وإلى هذا الرأي جنح أكثر المفسرين...إلى القول بأن

---

[1] محمد بن محمد الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403هـ، ص 09.

[2] سورة المطففين، الآية 23.

[3] سورة المطففين، الآية 15.

[4] إسماعيل بن كثير الدمشقي، مصدر نفسه، ص 487.

[5] سورة الأنفال، الآية 41.

سياق النظم القرآني له دور كبير في تأييد الرأي السابق، وبالتالي فالآية الكريمة (سورة الأنفال، الآية41) نزلت لترويض قلوب المسلمين على الرضا بما شرع الله في قسمة الغنائم وليقطعوا أطماعهم من الخمس، الذي قضى الله أن يكون له لا لهم، فإن الفضل في هذه الغنائم إنما هو الله، فهو الذي في هذا اليوم أنزل ما أنزل من هدايات وبشائر تثبت قلوبهم وأنزل مدداً من لدنه، وسخر سائر أسباب النصر في هذه المعركة، وإذا كان الأمر كذلك فأطيعوا أيها المسلمون أمره في قسمة الغنائم الناتجة عن هذا النصر، و" **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**".[1]

3_ السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، فهناك المناسبة بين السور والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين القصص، والمناسبة بين كلمات السور الواحدة والمناسبة بين السورة واسمها.

يقول **السيوطي رحمه الله** في كتابه "الإتقان في علوم القرآن": " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جمع القرآن: هو أن تنظر الغرض الذي سيقت له السورة".[2]

[1] ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ، ص 75.

[2] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ، ص293.

ومن أمثلة ذلك ما أورده **ابن الزبير الغرناطي رحمه الله**[1] في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (72)**﴾.[2]

[فقد انتهت وختمت الآية الأولى **بقوله:** "أَفَلا تَسْمَعُونَ" وكذا الآية الثانية ختمت بقوله " أَفَلا تُبْصِرُونَ"] حيث أجاب عن ذلك رحمه الله بقوله: " والجواب...: أن قوله تعالى في الآية الأولى: " أَفَلا تَسْمَعُونَ" مناسب للمّدرك ليلاً من ضربي ما يعتبر به المسموعات والمبصرات، وإنما تُدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها، فجيء بما يناسب مع ذكر النهار بما يناسب أيضا، **فقيل**" أَفَلا تُبْصِرُونَ " لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل ما يناسب".[3]

4_ وهو مهم في بيان مرجع الضمير.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ **قيل:** الضمير يحتمل أن يكون عائدًا إلى الإنسان، وأن يكون عائدًا إلى رب الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ**

---

[1] **ابن الزبير الغرناطي:** " هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخليين إلى الأندلس، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول (627هـ_708/1229_1308م).

[2] سورة القصص، الآية 71_72.

[3] أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في أي التنزيل**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ، ص 910_911.

لَكَنُودٌ﴾. ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده: " **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**" فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمير، يجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم.[1]

5_ ويعين السياق على بيان المحذوف.

قال **العزيز عبد السلام رحمه الله:** " ولا يحذفون ما لا دليل عليه، وإذا دار المحذوف بين أمرين قدر أحسنهما لفظًا ومعنى، والسياق مرشد إليه، فيقدر في كل موضع أحسن ما يليق به.[2]

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً** ﴾[3]. **(إِنْ كُنتَ تَقِيّاً):** أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به، وجواب الشرط محذوف، ثقة بدلالة السياق عليه أي: فإني عائذ به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي".

6_ وهو مهم في تحديد معنى المشترك اللفظي وهو ما احتمل لفظه معنيين فأكثر.[4]

---

[1] ينظر: محمد بن أحمد الكلبي، المرجع السابق، ص 214.

[2] الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السامي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، **الإمام في بيان أدلة الأحكام** دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1407هـ، ص 204.

[3] سورة مريم، الآية 18.

[4] ينظر: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د.عمر الطباع، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، مكتبة المعارف، ط1، 1414هـ، ص 328.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ﴾[1] فالنجم يراد به الفلك الدوار في أبراج السماء، ويراد به النبات الصغير قسيم الشجر وهو ما لم يقم من النبات على ساق، ومجيء الشجر في سياق الآية الكريمة يدل على أن المراد بالنجم هو المعنى الثاني.[2]

[فتبين من خلال قوله تعالى أن لفظة "**النَّجْمُ**" يراد بها النبات الصغير قسيم الشجر الذي لا يقم كغيره من النبات على ساق].

7_ ويعين السياق على تحديد زمن النزول.

ومثال ذلك ما ذكره **ابن جرير الطبري رحـــمه الله**[3]: في تفسير قولــه تعـالـــى:﴿ **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾.[4]

اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله: " " فقال بعضهم:....هذا ونحوه نزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل، وليس لهم سلطان يقهر المشركين، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى فأمر الله المسلمين من يجازي منهم أن يجازي بمثل ما أوني إليه أو يصبر أو يعفو

---

[1] سورة الرحمان، الآية 6.

[2] ينظر: د. محمد عبد الحفيظ العريان، **المعنى يبين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية**، في قصة محمد بن المؤهل للجاحظ، ط1، 1414هـ، ص 18.

[3] **ابن جرير الطبري**: " هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثي بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (224هـ_310هـ 839_923م)، إمام من أئمة المسلمين من أهل السنة والجماعة، مؤرخ ومفسر وفقيه مسلم صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ، وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وأرائه، يعتبر من أكثر علماء الإسلام تأليفا وتصنيفا، ومن مؤلفاته: تفسير الطبري، "المسمى" بجامع البيان عن تأويل أي القرآن، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، آداب المناسك وغيرها.

[4] سورة البقرة، الآية 194.

فهو أمثل، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى سلطانهم، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين فقاتلهم كما قاتلوكم، وقالوا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى عليه وسلم بالمدينة وبعد عمرة القضية...، وأشبه التأويلين يعادل عليه ظاهر الآية الذي حكي عن مجاهد (وهو القول الثاني): لأن الآيات قبلها إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة، وذلك بقولـــه تعـــالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾.[1،2]

أما فيما يخص الآيات التي بعدها، قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾، إنما هو في سياق الآيات التي فيها الأمر بالقتال والجهاد، والله جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة، فمعلوم بذلك أن قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾[3] وبالتالي فهو مدني ليس مكي، إذا كان فرض قتال المشركين لم يكن واجب على المؤمنين بمكة".[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 190.

[2] محمد عبد الحفيظ العريان، المرجع السابق، ص18.

[3] سورة البقرة، الآية 194.

[4] ينظر: الطبري، تحقيق: بشار عواد عصام فارس الحرستاني، "**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن**" مؤسسة الرسالة، د.ط، 2014م، ص 10_41.

8_ كما أن السياق مهم في الدلالة على وجود النسخ وعدمه.

(ومن ورد ما أورده **ابن جرير الطبري رحمه الله** في تفسير قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ** ﴾.[1]

حيث قال: " وهذه الآية أعني قوله: ﴿ **إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ** ﴾ وإن كان مخّرَجُ الآية مخرجها مخرج الخبر فإن معناها الأمر، وبرهانُ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ** ﴾.[2]

فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل، ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل للتخفيف، وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه، وهذا يعني أن التخفيف إنما هو ترخيص بمعنى ترك الواحد من المسلمين الثبوت العشرة من العدو، وإذا لم يكن التشديد (التثقيل) قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو البعد عن التشديد، وإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله تعالى:﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً**﴾؛ فهذا يدل على أن قوله تعالى جاء ناسخ لحكم قوله:﴿ **إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾).[3]

---

[1] سورة الأنفال، الآية 65.

[2] سورة الأنفال، الآية 66.

[3] ينظر: الطبري، المصدر السابق، ص 41.

فمن قال: بأن الآية الأولى جاءت على وجه الندب لا الغرض، فإن السياق يدفع ذلك ويضعفه، لقوله تعالى:﴿ **الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ** ﴾ ويأتي التخفيف مقابل الإيجاب، وهذا يدل على حكم نسخ الآية الأولى بالآية الثانية، وقد يكون الخلاف لَفظيًا، والمراد من ذلك أن الحكم في الآية الأولى تغير من وجوب مصابرة المجاهد لعشرة من الكفار إلى وجوب مصابرته لاثنين منهم...

9_ ويعين السياق على بيان سبب النزول الصحيح عند تعدد أسباب النزول.

ويدل على ذلك ما قاله **ابن جرير الطبري رحمه الله**، عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾.[1]

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت، فقال بعضهم: نزلت في الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور....**وقال آخرون**: بل نزلت هذه الآية في المنافق واليهودي اللذين وصف الله صفتهما في قوله:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**﴾.[2]

قال **أبو جعفر**: وهذا القول أعني من قال عني به المتحكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا**

[1] سورة النساء، الآية 65.

[2] سورة النساء، الآية60.

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾، أولى الصواب لأن قوله: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم بأن دلالة على انقطاعه أولى، فإن ظنّ ظانّ أن في الذي روي عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة، وقول من قال في خبرهما فنزلت:﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ ما ينبئ عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في حصة المحتكمين إلى الطاغوت ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري إذ كانت الآية دالة على ذلك، وإن كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياقٍ واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به من معنى ما قبله.[1]

10_ يعين السياق على تحديد أسلوب الكلام، فحينًا يخالف ظاهره المقصود به، فيأتي التعبير بالماضي والمقصود به المضارع، أو العكس وحينًا يكون ظاهره الخبر والمقصود به الإنشاء، ونحو ذلك.

[1] الطبري، المصدر السابق، ص 158_160.

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ** ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ**﴾[2]، فالأسلوب أسلوب خبر لكن المراد من ذلك الأمر، والمرشد هو السياق، فالصيغة كانت مقصودة للدلالة على الأمر، قال **الزركشي رحمه الله**[3] عن هاتين الآيتين: " السياق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك، لا أنه خبر والإلزام الخُلق في الخبر".[4]

11_ وهو مهم في الرد على الفرق المنحرفة من العقيدة الصحيحة.

ومن ذلك تنازع كثير من مثبتي القدر ونفاته في قوله تعالى:﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾[5]. فكان منهم من قال: الأفعال كلها من الله لقوله تعالى:﴿ **قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ﴾[6]، ومنهم من قال: الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله:﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ** ﴾، وقد أبطل **ابن تيمية رحمه الله** هذين القولين وقرر العقيدة الصحيحة، ووظف السياق توظيف حكيما في تقرير ذلك، فإنه:

---

[1] سورة البقرة، الآية 228.

[2] سورة البقرة، الآية 233.

[3] **الزركشي**: " 745هـ الموافق لسنة 1344م مصر، وهو الإمام العلامة بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الفقيه الأصولي، المحدث المفسر، المصنف المحرر، المنهاجي، الشافعي المذهب، التركي الأصل، المصري المولد والوفاة، حيث توفي يوم الأحد الثالث من شهر رجب سنة 794هـ، في القاهرة ودفن بالقرافة الصغرى".

[4] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الدين، **البرهان في أصول الفقه** مكتبة الوفاء_المنصورة، مصر، ط4، 1417هـ، ص 320.

[5] سورة النساء، الآية 79.

[6] سورة النساء، الآية 78.

أولا: بيّن أن لغة القرآن قد ورد فيها استعمال لفظ الحسنة في الطاعات وفي النعم، وأما السيئة فوردت بمعنى المعصية والمصيبة.

ثَانيًا: قرر أن الوارد في الآتين محل البحث إنما هو النعم والمصائب، مستدلا على ذلك بما في ألفاظ الآية: " مَّا أَصَابَكَ" فإنه من فعل غيرك بك، وبين نظيره من الألفاظ التي أتت بمثل هذا المعنى، كلفظ (مسّك) ونحوه، ثم بين أن اللفظ الذي يبين الطاعة والمعصية هو لفظ (جاء) كقوله تعالى:﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ** ﴾.[1]

ثَالثًا: قرر هذا المعنى الصحيح من خلال سياق النص، فإن الآية وردت في سياق الحث على الجهاد وذم المتخلفين عنه، فذكر سبحانه ما يصيب المؤمنين من المصيبة فيه وتارة من فضل الله.

رابعا: زاد الأمر تأكيد بالنظر إلى سياق القرآن، فأورد نظير هذا المعنى في القرآن في قصة موسى السلام عليه وفرعون، وما ورد كذلك في سورة يس.[2]

12_ والسياق مهم في تخصيص العام أو تعميم الخاص.

قال **الزركشي رحمه الله:** " مسألة هل يترك العموم لأجل السياق؟ يخرج من كلام الشافعي في هذه المسألة قولان، فإنه تردد قوله في الأمة الحامل إذا طلقها بأننا هل يجب لها النفقة أم لا؟ على قولين:

---

[1] سورة الأنعام، الآية 160.

[2] ينظر: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عامر الجزار أنور الباز، **مجموع الفتاوى**، دار الوفاء، ط3، 1426هـ، 2005م، ص237_240.

أحدهما: نعم، العموم، قوله تعالى:﴿ **فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾.[1]

والثاني: لا، لأن سياق الآية يشعر بإرادة الحرائر، لقوله:﴿ **فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾، فضرب أجلا تعود المرأة بعد مضيه إلى الاستقلال بنفسها، والأمة لا تستقل وأطلق الصير في جواز التخصيص بالسياق، ومثله قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ** ﴾[2]. [3]

وقد اعتنى **ابن قيم الجوزية رحمه الله** كذلك بيان أن السياق قد يكون مخصصا للعام أو معهما للخاص، ومن تعميم الخاص، قوله تعالى:﴿ **فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ**﴾.[4]

فهو خاص لكننا نفهم منه معنى عاما، وهو إرادة النهي عن جميع أنواع الأذى بالقول والفعل وإن لم ترد نصوص أخرى بالنهي عن عموم الأذى.[5]

13_ وللسياق أهمية في الترجيح بين معاني القراءات.

فقد رجّح **ابن كثير رحمه الله**، قراءة (يؤتون) السبعية على قراءة (يأتون).[6]

---

[1] سورة الطلاق، الآية 06.

[2] سورة آل عمران، الآية 173.

[3] بدر الدين الرزكشي، تحرير: د. عمر الأشقر، **البحر الأبيض في أصول الفقه**، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ، ص511.

[4] سورة الإسراء، الآية 23.

[5] ينظر: د.طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، **جهوده في التفسير اللغوي**، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، ط1، 1396هـ، ص 174.

[6] ينظر: ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن**، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1934م، (قراءة شاذة)، ص 98. وعثمان بن جني الموصلي، **المحتسب**، تحقيق: دار مزكين، اسطنبول، ط2، 1406هـ، ص95.

في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾.[1]

فبين أن المراد الأثام بالسياق لقوله بعدها: ﴿**أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾.[2]

ومن فعل الأثام كان من المقتصدين أو المقصرين.[3]

14_ وهو معين على معرفة سبب التقديم، لأن أحد أسباب التقديم ما دل عليه السياق، قال **الزركشي** في المقتضى التاسع من مقتضيات تقديم ما قدم والمعنى عليه: **التاسع:** سبق ما يقتضي تقديمه، وهو دلالة السياق كقوله تعالى:﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**﴾.[4]

لما كان إسراحها وهي خماص وإراحتها وهي بطان قدم الإراحة، لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

وقوله:﴿ **وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[5]، لأن السياق في ذكر مريم في قوله:﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾[6]، ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان، قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً** ﴾.

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 60.

[2] سورة المؤمنون، الآية 61.

[3] ينظر: إسماعيل بن كثير الدمشقي، المصدر السابق، ص 241.

[4] سورة النحل، الآية 06.

[5] سورة الأنبياء، الآية 91.

[6] سورة المؤمنون، الآية 50.

وقوله: ﴿ **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً** ﴾[1]. فإنه قدم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم، ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه، قال تعالى:﴿ **وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** ﴾[2]. [3]

15_ والسياق مهم في إظهار الإعجاز البياني في القرآن.

فالقرآن الكريم امتاز بالمزالة في الألفاظ، والتناسق والترتيب بين الآيات، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب المفسرين، وكتب توجيه المتشابه، فإن كل من راعى السياق في تفسيره أو توجيهه فهو بلا شك يعتبر موضحًا ومبينًا لوجه من بلاغة القرآن وبديعه وبيانه، ومن ذلك ما قاله **ابن الزبير الغرناطي رحمه الله** عند قوله تعالى من سورة الإنشقاق:﴿ **بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾[4] وفي قوله سورة البروج: ﴿ **بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ** ﴾[5]، للسائل أن يسأل عن اختصاص الأول بقوله: " **يُكَذِّبُونَ** " بلفظ المضارع، والثانية بقول: " **فِي تَكْذِيبٍ** " بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود؟ والجواب عن ذلك، والله أعلم، أن آية الانشقاق تقدمها وعيد آخرون، كله لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال وإن كان يصلح للحال، ليطابق الإخبار لأنه عما يأتي، ولم يقع بعد، فجيء بما يطابقه في

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 79.

[2] سورة الأنبياء، الآية 78.

[3] أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت ط1، 1391هـ، ص 262.

[4] سورة الانشقاق، الآية 22.

[5] سورة البروج، الآية 19.

استقباله، فأما آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ** ﴾[1]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذبيهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرون على تكذبيهم فقيل: " **فِي تَكْذِيبٍ** "... فجيء في كل من الآتين بما يناسب.[2]

16_ والسياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن، الذي يظهر الإعجاز البياني للقرآن فقد ظهر الإعجاز البياني بجلاء في كتب المتشابه من القرآن، لأن المؤلفين لهذه الكتب يعمدون إلى السياق غالبا، للتعرف على سبب الاختلاف بين آية وأخرى.[3]

وأما " **ستيفن أولمان**" فقد أدرك أهمية السياق في فهم النصوص اللغوية، إلا أنه حذر من المبالغة من الذين يدعون أن الكلمة معزولة عن السياق، ليس لها معنى على الإطلاق يقول **أولمان:** " كثيرًا ما يرد دون القول بأن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم، **يقول القائل:**" عندما أستعمل كلمة يكون معناها هو الذي أختاره لها فقط لا أكثر ولا أقل".

ويؤكد **أولمان** بقوله: " إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة، تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن إنها مثلا قد أحدثت ثورة في طريق التحليل الأدبي، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من

---

[1] سورة البروج، الآية 17.

[2] أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، المصدر السابق، ص 262_263.

[3] محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد خلق الله، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، دار صادر، بيروت، ط1، 1411هـ، ص 59.

الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا... وفوق هذا كله، قد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضحيها عن طريق التمسك بما سماه الأستاذ (فيرث) ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات، أي: سياقات ينطوي كل واحد منها ضمن سياق آخر، وكل واحد منها وظيفة لنفسه، وهو عضو في سياق أكبر، وفي كل السياقات الأخرى وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة.[1]

[وعليه فإن للسياق مكانة متميزة في الدراسات اللغوية الحديثة وذلك لما له من أهمية في الكشف عن المعنى وفهم مقاصد الكلام ودلالاته].

[1] أولمان ستيفن، مرجع نفسه، ص 55.

المبحث الثالـــــث: أنواع السياق

عددّ الدارسون المعاصرون في علم الدلالة أربعة أنواع للسياق، منهم من أسماها بشعب السياق كالدكتور أحمد مختار عمر، ومنهم من أسماها أنماط السياق، لكن رغم تعدد التسعينات فالمعنى يبقى واحدًا، وهذه الأنواع قُسِّمت إلى أربعة أنواع يمكن تحديدها فيما يلي:

1_ الـــسياق اللغوي:

هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلما أخرى مما يكسبها معنى خاص محدد، ويشار في هذا الصدد إلى أن السياق اللغوي يوضح كثيرا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك.[1]

ويرى **عبد القادر عبد الجليل** أن السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي نسيج في نطاق التركيب، وهذا الأمر يتطلب العودة إلى نظم اللغة (الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة، والمعجميّة، والدلاليّة).[2]

ويكون تحديد دلالة اللفظة في السياق نسبة إلى استعمالها في سياق معين وهذا السياق هو الذي يحددّ معناها ويدفع عنها الدلالات الأخرى المحتملة، أي أنّ المعنى لا

---

[1] أحمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1996/1416، ص 295.

[2] ينظر: د. عبد القادر عبد الجليل، **علم اللسانيات الحديثة**، دار الصفا للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ_2002م، ص 542.

ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وصفها في سياقات مختلفة... فمعظم الوحدات الدلاليّة تقع في مجاوزة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا من خلال الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها.[1]

[وفي هذا الوضع يكون استعمال اللفظة منسجمًا مع الألفاظ الأخرى المستعملة في نفس السياق دلالةً وصوتًا وصرفًا وتركيبًا، لتكون جزءًا من سياق النص، إذن لابّد أن تدرس اللفظة في سياقها اللغوي الذي وردت فيه، وأثرها في هذا السياق من جهة المساهمة في انسجامه وملائمتها للألفاظ الأخرى الواردة فيه].

وعرفه **مسعود صحراوي** بأنه سياق داخلي "منبثق"، لا يخرج عن حدود العبارة اللغوية بكينونتها النصية، وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يرشد إلى مراد المتكلم من الخطاب، ولا يكون في سلمه الإجرائي أيّ مكون خارجي للمعنى والتأويل.[2]

[فالسياق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعًا لتغيير يمس التركيب اللغوي، كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة فقولنا: " زيد أتم قراءة الكتاب" تختلف دلالتها اللغوية عن جملة: " قراءة للكتاب أتمها زيد]. أما النوع الثاني من السياق فهو:

2_ السيـــــاق العاطفي:

---

[1] د. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت، 1982، ص 68.

[2] مسعود صحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي مقالة، نشرت في **مجلة الدراسات اللغوية**، إصدار: مركز الملك فيصل البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية المجلد الخامس، العدد الأول، ص 42.

إن اللغة هي قناة التوصيل بين المتكلمين بها، وهي تُعَبِر بشكل واسع عن أفكارهم وعواطفهم ورغباتهم، لذا فاللغة في سياقها تخضع لمراد المتكلم، فالتأثير العاطفي للفظة في سياق معيّن يختلف عنه في سياق آخر وردت فيه اللفظة نفسها، إذن السياق هو الذي يحدّد درجة التأثير العاطفي للألفاظ في سياق معيّن دون غيره في سياق آخر، وبهذا يكون (السياق العاطفي هو المحدّد لدرجة القوة أو الضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيد أو مبالغة أو إعتدال).[1]

ويعتمد الشحن العاطفي للألفاظ على قصديّة المتكلم ومدى استجابة المتلقي، وإنّ استعمال لفظة في سياق معيّن مقصود، هو الذي يكشف عن درجة التوقّع العاطفي ودرجة تأثيره في المتلقي، والسياق العاطفي أيضًا، هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالتها العاطفية، كما يحدد درجات الإنفعال حسب القوة والضعف مما يتطلب قرائن بيانية تؤكد عمق أو سطحية هذا اللون من الإنفعال.[2]

فمثلاً عند التعبير عن أمر فيه غضب وشرة انفعال فإننا ننتقي الكلمات ذات الشحنة التغييرية القوية أو المعبرة، إلى درجة أن المتكلم نفسه قد لا يقصد استعمال هذه الكلمات مثل: القتل، الذبح،...أو غير ذلك.

ويرى الدكتور "منقور عبد الجليل" في كتابه علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي أن السياق العاطفي الانفعالي هو الذي يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار

---

[1] د. أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 70.

[2] عبد القادر عبد الجليل، المرجع السابق، ص 549.

القوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى، إلا أن دلالتها تختلف، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين (اغتال) و(قتل) بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان، فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذي تصاحب الفعل، فإذا كان الأوّل يدل على أن المغتال ذو مكانة اجتماعية عالية، وأنّ الاغتيال كان لدوافع سياسية. فإنّ الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول، وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية، وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال، فضلا على أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية".[1]

أمثلة على السياق العاطفـي:

أولاً: من ناحية طبيعة استعمال الكلمة في دلالتها الموضوعية العامة، ودلالتها العاطفية الخاصة كلتما جهاد ونضال، كلمتان مترادفتان، إلاَّ أنّهما تختلفان عند حدود استعمالهما لأن كلَّ مستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكرياً وعاطفياً؛ فلكلَّ جمهور نزعة عاطفية تجاه كلمة من الكلمات، مع أنها تشترك أو ترادف كلمة أخرى في عموم الموضوع إلا أن لكل كلمة خصوصيتها وجمهورها الذي يحتوي على تجاه فكري معين، فكلمة "جهاد" يستخدمها الإسلامي بينما كلمة "نضال" يستخدمها العلماني.

[1] منقور عبد الجليل، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص 65.

وهكذا نرى أنّ في استخدام لفظي استغلال واستثمار تباينًا، فالأولى تعمل قيما أسلوبية سلبية، في حيث الثانية ايجابية، بالرغم من أنهما مترادفان، فالأولى تشير إلى أخذ علة والثانية أخذ ثمرةَ.

وهكذا أيضا لفظة "كلب" وما تحمله من قيم عاطفية متباينة، فعند الطفل هو لعبة وعند المرأة التي تصلي هو نجس، وعند الفتاة هو الذي يشكل الخوف من نباحه، وعند الصياد هو الفرح الأكبر بحفلة الصيد، وهكذا فمستخدم هذه اللفظة يسبغ عليها من عاطفته عندما ترد على لسانه، محّملة بما تفيض به نفسه من انفعالات.[1]

ثانيا: من ناحية درجة القوة والضعف في الانفعال السياق العاطفي هو الذي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفًا، فالكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية، ترد حين يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال، فالمتكلم في هكذا حالة من الشعور الجامع، يغالي في استخدام كلمات ذات شحنة عاطفية كبيرة، ومعانٍ مغاليةٍ لا يقصد معناها الحقيقي؛ فالذين يتعاركون "يتذابحون" أو " يقتلون" بعضهم بعضًا فمستخدم هذه الكلمات لا يقصد معانيها الحقيقية وتكون محّملة بما يعتمل في داخله من غضب وانفعال أو انشراح وسرور.

[1] د. نسيم عون، **الألسنية محاضرات في علم الدلالة**، دار الغارابي، بيروت، ط1، 2005م، ص 160.

ثـــالثا: من ناحية طريقة الأداء الصوتـــــي

طريقة الأداء الصوتي لها دور فعال في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية العاطفية، كأن تُنْطق الكلمة، وكأنها تمثل معناها تمثيلاً حقيقيًا، ولا يخفي ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية.[1]

أما النوع الثالث فهو:

3_ سياق الموقف أو المـقـــــام:

يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، فتتغير دلالتها تبعا لتغيير الموقف، أو المقام، وقد قدم الدكتور أحمد مختار في كتابه علم الدلالة مثالا لذلك:

نحو: استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) (البدء بالفعل) وفي مقام الترحم بعد الموت: (الله يرحمه) (البدء بالإسم) فالأولى تعنى طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.[2]

وسياق الموقف يتكون من ثلاثة عناصر هي:

1_ شخصية المتكلم، والسامع، ومن يشهد الكلام، ودور المشاهد في المراقبة أو المشاركة.

2_ العوامل والأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

---

[1] أحمد محمد قدور، المرجع السابق ، ص 297.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 71.

3_ أثر الحدث اللغوي في المشتركين، كالإقناع أو الفرح، أو الألم أو الإغراء.[1]

[وعليه يجل هذا النوع من السياق على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام]

أما النوع الرابع والأخير من أنواع السياق هو:

4_ السياق الثـــقافي:

يعد السياق الثقافي ركيزة أساسية في عملية الترجمة خاصة، إذ لا يمكن الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص المترجم حتى يقارب الصواب في ترجمة محتواه، لأن الترجمة صعبة للغاية لا سيما إذا تعلق الأمر بالنص المقدس أو بالنص الأدبي أو بالنص الفلسفي ويتيه المترجم إذا اعتمد على الترجمة الحرفية في اللغة ولا يصل إلى المعنى المنشود إلا بالاعتماد على السياق الثقافي وعليه فاللغة استعمال، والمعنى يبقى غامضًا بعيدًا عن السياقات المختلفة، ولكن ما إن يسبق الكلام حتى يتغير المعنى منه.

ويتميز السياق الثقافي للنص بالديناميكية المحركة لتعددية المعنى، فليس السياق الثقافي مجرد ألفاظ ساكنة وإنما متوالية لا نهائية من المعاني لأنه يتصل بثقافات أخرى.[2]

وفي نظر " **أحمد مختار عمر**" للسياق الثقافي، على أنه سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة.

---

[1] سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، **معجم اللسانيات الحديثة**، إنجليزي عربي، مكتبة لبنان للنشر ص28.

[2] عبد الفتاح أحمد يوسف، **قراءة النص وسؤال الثقافة**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999، ص31.

–فكلمة مثل Looking glass تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة Mirror. وكذلك كلمة Rich بالنسبة لكلمة Wealthy.

واستعمال كلمة "عقيلته" تدل على طبقة اجتماعية عالية، لأن العامة تستعمل كلمة زوجته وإذا أخذنا كلمة "جذر" فنجدها عند المزارع تحمل معنى، وعند اللغوي معنى آخر وفي الرياضيات قضية أخرى.[1]

[ومن خلال المقارنة لأنواع السياق المختلفة، يتضح أن المعنى هو ما يفهم من السياق سواء كان لغوياً أو عاطفياً، أو ثقافياً وكذلك من خلال سياق الموقف. فكل هذه الأنواع تساعد على تدارك وفهم معاني النص المختلفة].

بالإضافة إلى **أنواع السياق في القرآن الكريم** تتمثل فيما يلي:

1_ سياق الآية.

2_ سياق النص.

3_ سياق السورة.

4_ سياق القرآني.

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص71.

وتفصيل ذلك كما يلي:

النـــــوع الأول: سياق الآية

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى آية، فإننا ننظر في السياق، كوجود لفظ مشترك في الآية لا يتضح معناه إلا بمعرفة سياق الآية.

مثال ذلك: لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية والتزويج[1]ويتحدد المعنى المراد منها بالسياق، ففي قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ** ﴾.[2]

[وعليه فالمراد بالإحصان في الآية الكريمة التزويج، لدلالة السياق في تبيين المعنى المقصود والمراد منه].

قال **الشنقيطي رحمه الله**[3] قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ** ﴾، أي: فإذا تزوجن وقول من قال من العلماء، إن المراد بالإحصان في قوله:﴿ **فَإِذَا أُحْصِنَّ** ﴾ الإسلام

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1415 هـ، ص233.

[2] سورة النساء، الآية 25.

[3] **الشنقيطي:** " هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن نوح بن محمد بن أحمد بن المختار الجنكي نسبة إلى يعقوب الجنكي الشنقيطي ولد في 17 فبراير 1905 ومن مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب: ألفية في المنطق....وغيرهم وتوفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في 10 يناير 1974 الموافق 17 ذو الحجة 1393هـ".

خلاف الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال تعالى:﴿ **وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً** ﴾.

وقال **ابن كثير رحمه الله** في تفسير هذه الآية: أن المراد بالإحصان هنا التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى:﴿ **وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ** ﴾.[1]

والآية الكريمة ساقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله تعالى:﴿ **فَإِذَا أُحْصِنَّ** ﴾ أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره".[2]

[يتضح مما سبق هناك اتفاق بين الشنقيطي وابن كثير–رحمه الله– على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية].

النوع الثـــــاني: سياق النص

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرًا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحياناً بناء على سياق النص.

مثـــال ذلك: ما قاله **النحاس رحمه الله** في قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ** ﴾.[3]

---

[1] سورة النساء، الآية 25.

[2] إسماعيل بن كثير الدمشقي، المصدر السابق، ص 477.

[3] سورة البروج، الآية 13.

في معناه قولان، قال **ابن زيد:** يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة. وعن **ابن عباس:** "يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة، قال **أبو جعفر:** وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن سياق القصة أنهم أُحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم ".[1]

النـــوع الثـالـــث: سياق الســـورة

لقد نظر العلماء في سياق السورة، وبحثوا عن الغرض الرئيسي الذي تدور عليه السورة ومن الأمثلة التي تبيّن أهمية دراسة سياق السورة ما يلي:

1_ لقد بحث **ابن قيم الجوزية رحمه الله** وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها، فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط، فيقول رحمه الله:" في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ".[2]

---

[1] أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، **إعـراب القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط3 1409هـ، ص 194.

[2] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم محمد، **الأمثال في القرآن الكريم**، مكتبة الصحابة، مصر، ط1، 1406هـ، ص 75.

2_ وبين **ابن تيمية رحمه الله** وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب، وبين ذِكر غزوة الأحزاب في السورة، وهي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة.

فيقول رحمه الله عن سورة الأحزاب: وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده، وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تخرجوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم. ذكر فيها خصائص رسُول الله صلى الله عليه وسلم وحقوقه وحرمة أهل بيته، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال".[1]

[فقد تبيّن من سياق السورة وجه المناسبات التي قد تكون غير واضحة].

النـــــوع الرابع: سياق القرآن

يقول صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: " أما السياق القرآني فإننا نقصد به أمرين:

1_ الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته، الأمر الذي يؤكد ضرورة الإلمام بهذا الأسلوب، ومعرفة خصائصه، مع معرفة الأغراض والمقاصد الكلية، والاتجاهات العامة الثانية في القرآن الكريم.

[1] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، المصدر السابق، ص 433.

2_ الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة.

أما في الآيات: فمثل قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى** ﴾.[1] وقوله: ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى** ﴾.[2] فالتركيز فيها يظهر في آية يس على الرجل ذاته أما التركيز في آية القصص فهو على سعي الرجل، إذ السياق في الأولى يركز في قصة موسى عليه السلام على ضرورة السعي لإنقاذه، والسياق في الثانية (سورة يس) يركز على الرجل المؤمن لأهمية موقفه من أهل قريته ودعوة الرسل، ومآل أمره.

وأما في النصوص: وخاصة القصصية منها، فمثل قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة، بين سورة الشعراء وسورة الأعراف، حيث نلاحظ اختلافات في بعض الألفاظ وفي ترتيبها، ففي سورة الأعراف: ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) قَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُواْ أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112)**﴾.[3]

وفي سورة الشعراء: ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33) قَال لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ**

[1] سورة القصص، الآية 20.

[2] سورة يس، الآية 20.

[3] سورة الأعراف، الآية 107_112.

اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37) ﴾.[1]

فنحن نلاحظ أن السياق في آيات الشعراء يركز على فرعون، ويهول من أمره في مقابلة اشتداد موسى عليه السلام في المحاجة، حتى بدا أنه غالبه، بينما في سورة الأعراف فإن السياق يخلو من هذا التركيز ولا يركز إلا على التفكير في كيفية الخلاص من موسى عليه السلام.[2]

[1] سورة الشعراء، الآية 32_37.

[2] عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، دائرة المكتبات والوثائق المدنية، عمّان، ط1، 1409هـ، ص 88_89.

المبحث الرابع: أركـــان السيـــاق

تطرقنا في هذا المبحث إلى بيان أركان السياق وهي الشرح لتعريفه السابق ذكره، وقد ذكرنا في تعريف السياق أنه عبارة عن تتابع للكلام مع مراعاة السابق واللاحق عليه والاهتمام في كل ذلك بالألفاظ ومعانيها، وركن الشيء هو جانبه الذي لا يقوم إلا به، فالركن بهذا ومن ماهية الشيء، حيث قال **الرازي رحمه الله:** " وركن الشيء جانبه الأقوى".[1] فلهذا أصبح للسياق ثلاثة أركان:

الـــركن الأول: السبـــاق

والسياق لغة: قال **ابن فارس رحمه الله:** " سبق: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم".[2]

وقال **الجوهري رحمه الله:** " سابقه فسبقه من باب ضرب، واستبقا في العدو أي تسابقا".[3]

فكلمة السياق تعني تقدم الشيء على آخر، وترابطهما.

اصطلاحا: هو الكلام الذي يبين معنى ما بعده.

" وهذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

---

[1] محمد بن أبي الرازي، المصدر السابق، ص 107.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، المصدر السابق، ص 129.

[3] محمد بن أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ص 120_124.

عن **يسيع الخضرمي رحمه الله** قال: " كنت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.فقال رجل : (يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله: ﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾؛وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون). قال له علي: أدنه، أدنه، ثم قال: ﴿ **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾.[1]

يوم القيامة، فبين علي رضي الله عنه أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السباق، وهي في قوله تعالى:﴿ **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾.

الركن الثاني: اللـــــحـــاق

واللحاق **لغة:** قال **ابن فارس رحمه الله:** اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق، وألحق بمعناه.....وربما قالوا: لحقته اتبعته، وألحقته وصلت إليه....."."[2]

وقال **الزبيدي رحمه الله:** " وتلاحق الأخبار، تتابعت، وكذا أحوال القوم".[3] ومن هذا يتبين أن معنى اللحاق في اللغة إدراك شيء لشيء، وتجاوزه إلى ما بعده.

---

[1] سورة النساء، الآية141.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المصدر السابق، ص 238.

[3] محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحقيقين، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، ص 61.

اصطلاحـــا: هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله.

ويتضح هذا بأمثلة كثيرة منها: عن قتادة في قوله : ﴿ **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[1]. متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول:﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾.[2]

فقوله:﴿ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** ﴾ لحقت الآية المسئول عنها، ففسرت وقت الحدث بأنه يوم القيامة.

الركن الثالث: ألفـــاظ الكـــلام

وهذا الركن يقوم على ثلاثة أركان أو ثلاثة أمور.

الأمر الأول: المفردات: لأن " النظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يحب على مفسره ودارسه، لأنها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات".[3]

وقد بلغ من اهتمام العلماء بمعنى المفردة أن اهتموا بحروفها التي تتركب منها، فكانوا يلاحظون بهذا التناسب بين الألفاظ والمعاني، وكل هذا يبين اهتمامهم بالمفردة لما للسياق من أثر كبير في توجيه المتشابه في فهم النص.

---

[1] سورة المائدة، الآية 116.

[2] سورة المائدة، الآية 119.

[3] د. محمد أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ، ص 261.

الأمر الثاني: هيئة الكلمة: بمعرفة تصريفها واشتقاقها، ذلك أن المعاني تختلف باختلاف ذلك؛ فإذا كان الاختلاف في هيئة الكلمة يثير اهتمام الدارس للغة العرب، حتى تتبين له المعاني المختبئة وراء الألفاظ، فإن الدارس للمتشابه يثير هذا الأمر اهتمامه أضعاف ذلك والسبب في هذا أن المتشابه تأتي فيه الصيغ المختلفة في موضوع واحد.

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض: إن في تبيّن معنى المفردة ودلالة هيئتها، ثم ما يكون بعده من تحديد علاقات المفردات في الجملة وعلاقات الجمل ببعضها، بعد ذلك كله تتبين دلالة الألفاظ على المعاني.

قال **ابن تيمية** رحمه الله :" ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه؟ فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني"؛ وإن" دراسة الجملة قد استفدت جهداً كبيراً من علماء النحو والبلاغة، وقد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية، كما قامت الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية، أو يحدد بين اللونين تحديداً كاملاً.[1]

وفي دراسة المتشابه من مباحث نظم الجملة الشيء الكثير، فإننا نجد من أنواع المتشابه: التقديم والتأخير، والحذف والذكر، وصور التوكيد، وأسرار الإعراب، وفي الجمل

[1] د.محمد محمد أبو موسى، مرجع نفسه، ص324.

من مباحث الفصل والوصل وترتيب الجمل، والاختصار في القصص، واختلاف التذييل وهو ما يسمى بالفواصل وغيرها، وقد بينت ذلك في مبحث أنواع للمتشابه، وتوجيه ما ورد في ذلك من متشابه القصة في الدراسة التطبيقية.[1]

و**للزركشي** رحمه الله كلام يلخص ويؤكد ما قلته عن هذا الركن، يقول: " فصل فيما يجب على المفسر البداءة به: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية وأول ما يجب للبداءة به منها: تحقيق الألفاظ المفردة من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.[2]

[1] د. محمود بن حمزة الكرماني، المصدر السابق، ص 173.

[2] د. محمود بن حمزة الكرماني، مصدر نفسه، ص 174.

تطرقنا في هذا الفصل إلى أربعة مباحث الموسوم بعنوان الإطار النظري لماهية التأويل وكل مبحث يحمل في طياته عنوان خاص به فالمبحث الأول معنون بمفهوم التأويل وكذا المبحث الثاني: أهمية التأويل وبالإضافة إلى المبحث الثالث: شروطه أما المبحث الرابع والأخير أنواع التأويل.

المبحـــــث الأول: مفهـــوم التأويل

يعتبر التأويل من الناحية اللغوية ظاهرة لها أهميتها في تاريخ الفكر الإنساني بصفة عامة وفي تاريخ الفكر العربي بصفة خاصة منذ أن حاول الناس فهم النصوص الدينية في الكتب السماوية، وقد كان لظاهرة "التأويل"–ومازال–خصوصية في تاريخ الفكر الإسلامي فقد لعبت فيه دوراً مهماً وخطيراً.

أ–التـــــأويل لغة:

لعل أول تعريف لمصطلح التأويل قد أورده "**الخليل بن أحمد الفراهيدي**"[1]: في معجم "العين" حيث يقول:" والتأوَّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصّح إلا ببيان غير لفظه".[2]

[1] **الخليل بن أحمد بن عمر وبن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو حامد عبد الرحمن** :" من أئمة اللغة والأدب،وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها، ودرس لدى عبد الله بن أبي إسحاق الخضرمي وهو أيضاً أستاذ سيبويه النحوي.ولد في عمان ومات في البصرة، [718م وفاته :174هـ–789م]".

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي(1993م) وإبراهيم السامرائي(2001م)، **معجم العين**، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1988، ج8، ص369.

كما جاء في لسان العرب لابن منظور معنى التأويل:"الأول الرجوع، آل الشيء يؤول ومآلاً رجع، وأول إليه الشيء:رَجَعَه. وألْتُ عن الشيء:ارتددت.

يقال: طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع، والأيّل من الوحش: الوعل، قال الفارسي:"سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه. وفي مادة (أول) مرتبطاً بالتفقه والتدبّر في نصوص القرآن الكريم، فأوّل الكلام وتأوله؛ دبّره وقدره.والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى تدليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[1]

وجاء في **معجم تهذيب اللغة للأزهري(ت370هـ)** أن:" الأول هو الرُّجوع، وقد آل يؤول أولاً أي رجع".[2]

[وعلى هذا النحو يكون التأويل مأخوذاً من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من معان].

وورد في معجم مقاييس اللغة **لابن فارس(ت395هـ)**: أن التأويل يعني الرجوع ويضيف ابن فارس معنى آخر، فيذهب إلى أنّ تأويل الكلام هو عاقبته، ويستدل على ذلك:بقوله تعالى:﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾.[3]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3 ،1994، **(مادة أول)**، ص130_52.

[2] الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، **معجم تهذيب اللغة**، ط1، القاهرة، 1946، ص296.

[3] سورة الأعراف، الآية 53.

أي عاقبته وما يؤول إليه أمر الكتاب المنزّل وقت بعثهم ونشورهم ويقول تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول وينتهي إليه.[1]

وجاء في لسان العرب **لابن منظور(ت711هـ)**:" آل مآله إيالة إذا أصلحه وساسه والائتيال الإصلاح والسياسة".[2]

معنى التأويل أيضاً: "من الأول وهو مبدأ الشيء والرجوع إلى أصله وأول إليه الشيء رجعه وألت عن الشيء ارتددت عنه وفي الدعاء لمن فقد شيء أول الله عليه ضالتك والتأويل عبارة الرؤيا وتأوّل فيه الخير توسمه. والتأويل تفسير الكلام الذي تختلط معانيه".[3]

[وعليه فالمعنى الجامع الأصلي للفظة التأويل هو الرد والرجوع إلى الأصل والتدبر والتقدير والتفسير].

والتأويل مصدر على وزن **(تفعيل)**، من أوّل، يؤول تأويلا، ومادة الكلمة هي**(أول)**.[4]

"وعرفه شيخ الإسلام **ابن تيمية** بأنه:" صرف اللفظ من المعن الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وقال **الآمدي:**[5] "هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر مع

---

[1] أبو الحسن بن فارس بن زكريا، المرجع السابق، ص 162.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1402هـ، ج13، ص34.

[3] أ.عقلية. مصطفى،" التأويل وتحليل المحتوى في البحث العلمي الإنساني والإجتماعي"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد (2009/04): رمّد(1112-7163)، المركز الجامعي-غرداية، ص85-93

[4] صلاح عبد الفتاح ألخالدي، **تعريف الدارسين**، بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط1، 2002م، ص25.

[5] **أبو القاسم الآمدي:**" هو الحسن بن بشر بن يحي الآمدي، أديب وشاعر، أصله من آمد **(ديار بكر)**ومن كتبه: المؤتلف والمختلف: في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم، نثر المنظوم، معاني شعر البحتري...وغيرهم.أما المصادر: الأعلام للزركلي الجزء 2، معجم أعلام المورد، تأليف منير البعلبكي، توفي 370هـ،980 م بالبصرة".

احتماله له بدليل يعضده". وقال **الطوفي**[1] أيضا : "هو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحاً".[2]

[بناء على ما تقدم فإنه يمكن القول أن مدلول التأويل في المعاجم اللغوية يدور حول معاني: التفسير، الرجوع، العاقبة، الإصلاح والسياسة والصرف والمرجع والمصير والمتغير والوضوح والظهور وكذا التدبر والتفقه. ومن الملاحظ أن هذا المعنى قد صاحب الخطاب الديني منذ بداية نزول الوحي، ومحاولة المسلمين فهم القرآن الكريم].

ب-المعنى الإصطلاحي للتأويل:

بعد تحديد المعنى اللغوي "للتأويل" لابد من الانتقال إلى المعنى الاصطلاحي وفيما يلي بعض المعاني الاصطلاحية:

_التأويل عند **الغزالي:** هو عبارة عن احتمال يعضده دليل، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز.[3]

---

[1] **الطوفي:**" هو أبو نجم الدين الربيع سليمان عبد القوي بن الكريم الطوفي الصر صري الطوفي (657هـ-716هـ/1259-1316م)؛فقيه وعالم حنبلي،ولد بقرية طوف أو طوفاً من أعمال صرصر في العراق، ودخل بغداد سنة691هـ؛ ورحل دمشق سنة 704،وزارُ مصر وجاورالحرمين،وتوفي في بند الخليل بفلسطين"

[2] إبراهيم محمد طه بويداين، إشراف الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة، رسالة ماجستير: "**التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين دراسة أصولية فكرية معاصرة**، جامعة القدس، (قسم الدراسات الإسلامية، الدراسات العليا)،2001، ص24.

[3] أبو حامد الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، المجلد1322،1هـ-1960م، ص387.

[يتضح من خلال تعريف الغزالي لمعنى التأويل أنه يهتم بالتأويل المجازي وهو صرف اللفظ عن ظاهره].

_ وذكر **السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن قول الماتوريدي** :"التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع ".[1]

فالماتوريدي يذهب إلى القول باحتمال ألفاظ الآيات القرآنية لمعان أخرى غير معانيها اللغوية، وهو يرجح أحد تلك المعاني ولكن دون القطع بأنه المعنى المراد من اللفظ .

_ويذهب **ابن الحزم** [2]إلى أن: "التأويل نقل اللفظ عَمَّا اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صح إلا ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حقٌ وإن كان ناقله بخلاف ذلك طرح ولم يلتفت إليه، وحكم لذلك النقل أنه باطل ".[3]

ومن هنا فابن حزم يتجاوز الحدود الظاهرة للألفاظ كما وضعت في اللغة من جهة، كما يضع شروطا للتأويل ولمن يقوم به.

---

[1] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعة الحلبي، القاهرة، ج2،1935م، ص173.

[2] **ابن حزم الأندلسي:** (30 رمضان384هـ/7نوفمبر994م–وفاته 28شعبان456هـ/15اغسطس1064م):"هو أبو حامد علي بن حزم الأندلسي، يعد أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً بعد الطبري، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري".

[3] ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، طبعة الخانجي02، ج1 ،1403هـ–1973م، ص42.

عرّف **ابـن رشد** التأويل في فصل المقال فذكر أن:" معنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التَجَوّز من تسمية الشيء بشبيهه في تعريف أصناف الكلام المجازي".[1]

[يلاحظ من خلال تعريف ابن رشد للتأويل والغزالي هناك التقاء بينهما في إلحاق التأويل بالمجاز ،فالمجاز وسيلة من وسائل فهم النص الديني] .

قال **الراغب**[2]:" التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل، ومن الموئل الموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المراد منه علما كان أو فعلا، وتأويل أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه".[3]

ويذكر صاحب المعجم الفلسفي "**جميل صليبيا**[4]: "أن التأويل مشتق من الأول، وهو في اللغة الترجيح، تقول أوله إليه رجَّعَه، أما عند علماء اللاهوت فهو تفسير الكتب المقدسة

---

[1] ابن رشد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، مكتبة التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1987م، ص18.

[2] **الرَّاغِب الأَصْفَهَاني**: "هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني(**أو الأصبهاني**)المعروف بالراغب؛ وهو أديب وعالم، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد، ألف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة ومن مؤلفاته التي ذكرها الزر كلي:محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق البيان...الخ، توفي 502هـ/1108م".

[3] الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص31.

[4] **جميل صليبيا**:"كاتب وفيلسوف عربي، ولد في القرعون في لبنان عام 1902م، أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة العربية، علم النفس في الفلسفة والمنطق،من الخيال إلى الحقيقة...وغيرهم. توفي في بيروت 1976 م ودفن في دمشق".

تفسيراً رمزياً، أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية (...) وما يسميه الفيلسوف استقرءاً يسميه اللاهوتي تأويلا .والغرض من الطريقتين معرفة بواطن الأشياء".[1]

_والتأويل في الشرع: " صرف [لفظ] الآية عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ،إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة".[2]

_ وقد ورد لفظ التأويل (تأويل_تأويلاً_تأويله) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة.[3]

_وجاء مصطلح التأويل في تفسير **البغوي**: "أنه صرف الآية إلى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط".[4]

[من خلال تعريف محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي في كتابه معالم التنزيل في التفسير "تفسير البغوي" فنلاحظ تعلق التأويل بالآيات القرآنية وضرورة مناسبة المعنى المؤول إليه اللفظ للسياق العام للآية عن طريق إعمال النظر والاستنباط الذي لا يؤدي إلى معارضة الكتاب والسنة] .

وعرفه **الجويني رحمه الله** فقال:"رد الظاهر إلى ما إليه ماله في دعوى المؤول".[5]

---

[1] جميل صليبيا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ج1، 1982م، ص234، (بتصرف).

[2] علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص25.

[3] إبراهيم أمين الزرزَمُوني، تقديم الأستاذ الدكتور عز الدين، **تأويل الخطاب الشعري "النظرية والتطبيق محمد أجمد الغرب نموذجاً** "، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م، ص24.

[4] أبو محمد الحسن بن مسعود(الفّراء البغوي)، **معالم التنزيل في التفسير**، طبعة المنارة، القاهرة، 1345 هـ، ص18.

[5] الجويني، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، **البرهان في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1 ،1418هـ-1977م، ص193.

وعرفه **ابن حزم الظاهري رحمه الله** بأنه:"هو حمل اللفظ الظاهر إلى معنى آخر يحتمل بدليل صحيح ".[1]

وعرفه **الإمام أبو زهرة رحمه الله:** "هو إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله وليس هو الظاهر فيه ".[2]

وعرفه **ابن الحاجب:** (التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، وإن أردت الصحيح زدت بدليل يصير به راجحاً)

ومثله عرفه **ابن السبكي:** (حمل الظاهر على المحتمل المرجوح) وأصناف فإن حمل عليه لدليل صحيح ،أو لما يظن دليلا ففاسد ،أولا دليل فلعب.

وعرفه **ابن قُدامة:** (صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح به لاعتضاده بدليل يصير به أغلب الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر).[3]

[يتبين من خلال ما تقدم عَرضُهُ من تعريفات اصطلاحية هناك عامل مشترك بينهما. وهو كون التأويل عبارة عن صرف اللفظ من المعنى الظاهر إلى معنى آخر يحتمله اللفظ ويعضده دليل].

---

[1] ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي الأندلسي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، **النبذ في أصول الفقه**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،1401 هـ - 1981م

[2]الإمام محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**، دار الفكر العربي، د.ط، 1417هـ، ص126.

[3] التأويل البعيد القريب وأثرهما في الحكم الأصولي، د.نبيل محمد غريب شبيب الزبيدي، "**مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، جامعة الموصل، المجلد10، العدد04، (2011/02/13م-2011/05/05م)، ص256.

المبحـــــث الثاني: أهمية التأويل

تناول هذا المبحث أهمية التأويل والذي يُعد عملية جوهرية تمثل أهم مرتكز في قراءة النصوص، فهو يساهم إلى حد بعيد في تحيينها وفهمها في سياقها التاريخي، أي في السياق الذي أنتجت فيه، وفي السياق الذي تقرأ فيه؛ وسوف أفضل أهمية هذا المبحث كالآتي:

– استطاع فعل التأويل أن يحول القراءة من فعل استهلاك لفعل إنتاج،لأنه يرقى بعملية القراءة إلى مدارج المعايشة الحميمة لفسيفساء النص، والتمثل العميق لمفاتنه، فتصير علاقة القارئ بالمقروء علاقة رغبة واشتهاء متبادلة، لكن هذه العلاقة تختلاف باختلاف أهداف المتلقي، فهناك القراءة التي تعتمد الاستيعاب المتنامي منطلقة من الجزء إلى الكل، وهناك التي تعتمد استباق المعنى بناء على التخمين. وإدراك الكليات أولا، فضلاً عن القراءة التفاعلية التي تشيد المعنى لا قبل القراءة ولا بعدها، ولكن إبان الفعل نفسه.فتفاعل القارئ مع المتن هو الذي يحدد طبيعة النص؛ ومع الممارسة والدربة تتكون لدى القارئ طقوس وعادات قرائية كالسرعة في الاستيعاب، وتجميع المعنى الإجمالي في جمل محدودة ورصد التيمات..معتمدة مهارات الانتقاء والتخزين والتأويل وما شابه ذلك...[1]

ولقد وجد **الأملي** أن القرآن نفسه يشكّل سبباً مباشرًا لنشوء التأويل في صورته البدائية، ذلك أنّه اشتمل على آيات يتوهم منها بحسب ظاهرها الاختلاف والتناقض، وأدرك العلماء

[1] " التأويل وتعدد المعنى"، أ.دندوقة فوزية، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة محمد خيضر– بسكرة–العدد الرابع، جانفي2009، ص08.

أنّهم لو فسّروها على ظاهرها للزم من ذلك مفاسد كثيرة كالتشبيه والجسّم.وارتفاع محذور كهذا لم يكن ممكناً إلاّ بسلوك طريق التأويل بصرف الآيات عمّا تدلّ عليه ظواهرها.[1]

والغرض الذي يسوق إليه التأويل حسب رأي الأملي لا يجوز تفويته، ولقد نبعت ضرورة التأويل من ضرورة غرضه وأهمّية غايته ومقصده، لكن هذا الغرض عند الصوفي مختلف عن غرض أهل الشريعة وأصحاب الظاهر.[2]

بعد معرفة أن غرض أهل الشريعة الذي أكّدوا عليه في مقام تبرر التأويل وبيان ضرورته هو التخلص من المفاسد التي تدلّ عليه ظواهر كثير من الآيات، ويحكم العقل أو الشرع باستحالة وقوعها، وعدم إمكان الذهاب إليها والاعتقاد بها، كالتشبيه والتعطيل والتجسيم.[3]

ويؤكد **إبراهيم أمين الزرُزَموني** في كتابه تأويل الخطابِ الشعري"النظرية والتطبيق" على ظاهرة التأويل التي تعد من الظواهر اللغوية التي لها أهميتها وخطورتها في تاريخ الفكر الإنساني عامة، والفكر الإسلامي خاصة، وذلك"منذ حاول الناس تفهُّمَ الكتب السماوية، ولقد كان لهذه الظاهرة دورها البالغ في كل البيئات الإسلامية على اختلاف مقوماتها في الفكر والثقافة، وذلك لارتباطها أساساً بالدلالة الأسلوبية، ومحاولة التوصل إلى الغاية المقصودة "

---

[1] حيدر الآملي، تحقيق: السيد محسن الموسوي التبريزي، **تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضّم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم**، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط1، 1414هـ-ج1، ص293.

[2] د.خنجر علي حمية، العرفان الشيعي، **دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي**، دار الهادي، "فلسفة الدين والكلام الجديد"، ط1 ،1425هـ-ص704.

[3] د.خنجر علي حمية، مرجع نفسه، ص704.

وهذا ما يؤكده أحد النقاد بقوله:" العمق التاريخي للتأويل في ثقافتنا العربية يؤهله موضوعياً الاستقطاب ما عجزت عن استقطابه مناهج ونظريات نقدية شتى على مستوى الأداء النقدي، وعلى مستوى القبول، ويدعمه في أهليته اشتغال الغرب عليه".

[إذن فليس التأويل عَرَضاً يُقصى ويُبعد، وإنما هو منهج للبحث والأصل والجذر والأساس لا يخفى على كل باحث في التراث الإنساني ماله من قيمة كبرى، وحمولة دلالية عالية].

وإن النشاط التأويلي في الثقافة العربية نشاط مستمر ومطرد منذ أن بدأ العرب ينتجون ثقافة بلغتهم العربية، فلقد وُجد مِن النقاد من اشتغلوا على الشعر الجاهلي وتذوقوا بنيته السطحية والعميقة، ثم صار التأويل منهجاً منظماً مع تأصُّل علوم القرآن الكريم.ومع تفرع المذاهب الإسلامية صار كل مذهب يَنظر إلى النص المقدس نظرة تختلف عن غيره من المذاهب.فتعددت التأويلات، صار للأصوليين تأويل، وللشيعة تأويل، وللصوفية تأويل،وللنحويين تأويل.[1]

[يتضح من خلال ما سبق ذكره أن أهمية التأويل لها دور منسجم وفعال في مختلف العلوم الدينية وفي تحليل وتأويل النصوص القرآنية التي شغلت معظم الأمم العربية المسلمة].

[1] ينظر: د. إبراهيم أمين الزرزَموني، المصدر السابقً، ص 24_25.

المبحث الثالــث: شـــــروط التأويل

سوف أُفَصِلُ في هذا المبحث شروط التأويل بحيث لا يقبَل التأويل ويُعْمَلَ به إلا إذا تحققت شروطه الصحيحة.

وبذلك أشار **الجويني** في كتابه" **البرهان**" تأويل الظواهر مسوغ إذا استجمعت الشرائط[1] فلا يصح التأويل إلا إذا توافرت فيه الشروط التالية:

1-أن يكون الناظر المتأوّل أهلاً لذلك.

2-أن يكون اللّفظ قابلاً للتأويل، بأن يكون اللّفظ ظاهراً فيما صرف عنه، محتملاً لما صرف إليه.[2]

3- أن يكون المؤول به يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار، أي أن يكون موافقاً لوضع اللغة، أو عُرْف الشرع، أو عُرْف الاستعمال،[3] فلو أريد قصر العام على بعض أفراده، أو تقييد مطلق، أو الحمل اللفظ على معناه المجازي، فهذا تأويل صحيح حيث إن ذلك جائزُ لفظاً وعُرْفاً، لأن العام يحتمل التخصيص، والمطلق يحتمل التقييد، واللّفظ يحتمل أن يدل على معناه المجازي، فعلى سبيل المثال: القرء لفظ مشترك بين الحيض والطهر، فإذا أريد

---

[1] الجويني، المصدر السابق، ص194.

[2] الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت،ص50.

[3] الشوكاني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ط1، 1356هـ، 1937م، ص177.

منه معنى آخر غير الحيض أو الطُهر، فلا يصح ذلك التأويل لمخالفته اللغة حيث إن ذلك فيه تحميلُ للفظٍ كثر مما يحتمل[1]

4-أن يقوم دليل التأويل الذي يوجب صرف اللّفظ عن ظاهره، وأن يكون هذا الدليل الصارف راجحاً.[2] فالاحتمال المرجوح يحتاج إلى دليل يعضده ويقويه حتى يقدم علة الظاهر، وهذا الدليل قد يكون قرينة، أو ظاهراً آخر، أو قياساً.[3]

-مثال على كون الدليل الصارف قرينةً:

المناظرة التي حصلت بين الإمام أحمد والإمام الشافعي رحمهما الله في حديث النبي:"**العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه**".[4]؛ فالإمام الشافعي رحمه الله تمسك بظاهر الحديث، فهو يرى أن الواهب له الرجوع في هبته وقال:ليس محرماً على الكلب أن يعود في قيئه.

أما الإمام أحمد رحمه الله فهو يرى أنه يحرم على الواهب الرجوع في هبته، واستدل على ذلك بالقرينة، إذ إنه جاء في أول الحديث:"**ليس لنا مثل السوء**"،[والمثل السيء ليس لأحد إتيانه].

---

[1] البرديسي، محمد زكريا، **أصول الفقه الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1984، ص104.

[2] الآمدي، المرجع السابق، ص50.

[3] الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، مكتب التحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ص245.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،1322هـ-2001م، ص455. [حديث1: رقم(6978). ص1235-حديث2:(رقم6976). ص1234، صحيح البخاري:كتاب الحيل في باب الهبة].

-مثال على كون الدليل الصارف ظاهر آخر:

حديث النبي :"**الجار أحق بصقبه**".

هذا الحديث ظاهر في ثبوت الشفعة للجار الملاصق والمقابل، مع احتمال أن المراد بالجار الشريك المخالط، إما حقيقة أو مجازاً، لكن هذه الاحتمال ضعيف بالنسبة إلى الظاهر، فعند النظر إليه هناك ظاهراً آخر وهو قول النبي:" **فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة؛** فصار هذا الحديث مقوياً لذلك الاحتمال الضعيف في الحديث المتقدم فترجح هذا الاحتمال على الظاهر بظاهرٍ آخر، وقُدِّ عليه وأصبح لا شفعة إلا للشريك المقاسم، وحُمِلَ الجار في الحديث الأول عليه وهو سائغٌ في اللغة.[1]

-مثال على كون الدليل الصارف قياساً:

عموم جلد الزاني مائة جلدة، ظاهر في شمول العبد ولكنه سبحانه وتعالى لما خص الأمة من عموم الزانية الأنثى بقوله تعالى:﴿ **فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ**﴾.[2]

عرف أن الرق علة لتشطير الجلد، فحكم بتشطير جلد العبد قياساً على الأمة، فكان في قياسه عليها صرف اللفظ عن إرادة عموم الزاني، إلى محتمل مرجوح هو كونه في

[1] الطوفي، تحقيق: د. عبد الله بن المحسن التركي، **شرح المختصر الروضة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ-1987، ج1، ص562.

[2] سورة النساء، الآية 25.

خصوص الحر، واعتماداً على القياس وعلى الآية المنصوص عليها؛ لكن قد يكون في الظاهر قرائن تدفع الاحتمال المرجوح.[1]

-مثال ذلك على الاحتمال المرجوح بالقرائن المحتفة بالظاهر:

" أن **غيلان بن سلمة الثقفي** أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النبي أن يتخير أربعاً منهن.[2]

ذهب الحنفية إلى أن من أسلم وتحته أكثر من أربع نسوة، إن كان تزوجهن في عقد واحد بطل نكاحهن، ولم يجز أن يختار منهن شيئاً، وإن تزوجهن متعاقبات اختار من الأول أربعاً وترك الباقي، فحملوا الإمساك على ابتداء النكاح، كأنه قال امسك أربعًا بأن تبتدئ نكاحهن، وعضدوا هذا الدليل بالقياس، وهو أن بعض النسوة لسن بأولى من بعض،إذ هو ترجيح بلا مرجح.

لكن الأئمة الثلاثة عارضوا رأي أبي حنفية رحمه الله، ورأوا أن ما ذهب إليه الحنفية مخالفُ لظاهر الحديث، إذ إن في الحديث قرائنَ عضدت الظاهر، وجعلته أقوى من الاحتمال[3]، ومن هذه القرائن [4]:

---

[1] الشنقيطي، **مذكرة في أصول الفقه**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5 ،1422هـ-2001م، ص 213.

[2] الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر آخرون، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، "باب ما جاء في الرجل يسلم عنده عشرة نسوة "، ج1، ص435.

[3] ابن قدامة، **روضة الناظر وجنة المناظر**، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت، ص92.

[4] الشنقيطي، المرجع السابق، ص213-214.

1-أنه فوض الإمساك والمفارقة إلى اختياره بقوله له(**تخير**) وهي قرينة مرجحة، وابتداء النكاح لا يصح إلا برضا المرأة ووليها.

2-أنه لم يسبق إلى إفهام الصحابة الإمساك بمعنى الابتداء، فإنهم لو فهموه لكان هذا السابق إلى إفهامنا.

3- لو أراد ابتداء النكاح لذكر شرائطه، لئلا يؤخر البيان عن وقت الحاجة ،وما أحوج حديث العهد بالإسلام إلى معرفة شرائط النكاح!!!.

4- أن ابتداء النكاح لا يختص بهن، فكان ينبغي أن يقول " انكح أربعاً ممن شئت".

لذا فإننا نلاحظ أن هذه القرائن قد احتفت بظاهر الحديث، ودفعت هذا الاحتمال البعيد الذي بنى عليه الحنفية تأويلهم في هذه المسألة.

[وعليه يتضح مما سبق ذكره من شروط التأويل فإنها إذا تحققت عند المؤول بطريقة صحيحة فيصح له أن يُعْمِلَ بها في النصوص القرآنية].

_ كما أورد الإمام محمد أبو زهرة في كتابه أصول الفقه ثلاثة شروط للتأويل بصيغة أخرى وهي كالآتي:

أولها:أن يكون اللفظ محتملاً ولو عن بعد للمعنى الذي يؤول إليه، فلا يكون غريباً عنه كل الغرابة.

ثانيها: أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة، أو مخالفاً لنص أقوى منه سندا كأن يخالف الحديث رأيا، ويكون الحديث

قابلاً للتأويل فيؤول بدل أن يرد أو يكون النص مخالفاً لما هو أقوى منه دلالة،كأن يكون اللفظ ظاهراً في الموضوع، والذي يخالفه نص الموضوع، أو يكون اللفظ نصا في الموضوع، والذي يخالفه مفسر .ففي كل هذه الصور يؤول.

ثالثها:ألا يكون التأويل من غير سند،بل لابد أن يكون له سند مستمد من الموجبات له.[1]

[1] الإمام محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص126.

المبحـــث الرابع: أنواع التأويل

بعد تحديد شروط التأويل، وتحققها عند المؤول فلا بد من الإنتقال إلى أقسام التأويل والتي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

1-التأويل الصحيح(وهو قسمان:أ-التأويل القريب، ب-التأويل البعيد).

2-التأويل الفاسد.

3-التأويل الباطل المردود.

أولاً:أقسام التأويل من حيث الصحة والفساد:

1-التأويل الصحيح: وهو التأويل الذي يصار إليه بجمل ظاهر اللّفظ إلى المحتمل المرجوح بدليل يصيره راجحاً.[1]

ومن أمثلة التأويل الصحيح: تخصيص عموم البيع في قول الله: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[2]؛ بالأحاديث التي تنهى عن بيع الغرر، وعن بيع الإنسان ما ليس عنده، وعن بيع الثمر قبل بدَو صلاحه.

[1] الشوكاني، المرجع السابق، ص176.

[2] سورة البقرة، الآية 275.

وتخصيص عموم المطلقات بقول الله:﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾.[1] وتقييد الدم المطلق في قول الله:﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ** ﴾.[2]؛ بقول الله:﴿ **أَوْ دَماً مَسْفُوحاً** ﴾.[3]

2-التأويل الفاسد: هو التأويل الذي يصار إليه بدليل يظنه المؤول دليلاً وليس بديلاً في نفس الأمر.[4]

وإن كان دليل التأويل مرجوحاً أو مساوياً كذلك فهو فاسد ومن التأويلات الفاسدة تأويل هؤلاء الذين في قلوبهم زيغ، وهم الطوائف الخارجة عن الحق، يريدون أن يتأولوا على الوجه الذي يرونه يوافق مذاهبهم وآراءهم الفاسدة.[5]

ومن أمثلة التأويل الفاسد تأويل بعض الناس قول الله:﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾[6]، فهذه الآية ظاهر عام يقتضي دخول كل مطعوم وإنه لا جناح في استعماله بذلك الشرط ومن جملته الخمر، ولكن هذا الظاهر يفسد جريان الفهم في الأسلوب، مع إهمال السبب الذي نزلت لأجله الآية الكريمة بعد تحريم الخمر في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ**

---

[1] سورة الطلاق، الآية 04.

[2] سورة المائدة، الآية 03.

[3] سورة الأنعام، الآية 145.

[4] الشنقيطي، المرجع السابق، ص212.

[5] الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، د.ط، د.ت، ج1، ص315.

[6] سورة المائدة، الآية 93.

الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[1] وبعد هذا التحريم قال الله﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾؛ فكان هذا نقصاً في التحريم، فاجتماع الإذن والنهي معاً فلا يمكن للمكلف الإمتثال، لكن بالنظر إلى هذه الآية نجد أنها لا تصلح أن تكون دليلاً للمحتمل المرجوح، إذ إن هذه الآية نزلت بعد تحريم الخمر،حيث إنهم قالوا لما نزل تحريم الخمر: كيف بأصحابنا وقد ماتوا يشربون،فنزلت﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ** ﴾.

كذلك إن آية تحريم الخمر نص في التحريم، والآية الأولى هي ظاهر وعند معارضة النص للظاهر يقدم النص، وبذلك خطّأ عمر بن الخطاب من تأوّل هذه الآية إنها عائدة على ما تقدم من التحريم في الخَمرَ.[2]

أُتي **عمر بن الخطاب** برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب، فأمر به أن يجلد فقال: لم تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله، قال:وفي أي كتاب الله تجد أن لا أجلدك، قال:إن الله يقول في كتابه:﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾.[3]

شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأحدًا والخندق والمشاهد، فقال: **عمر رضي الله عنه:**" آلا تردون عليه ما يقول"، **فقال ابن عباس:**" إن هؤلاء الآيات نزلت عذراً للماضين وحجةً على الباقين، فعذر الماضين لأنهم لقوا الله؛ قبل أن تحرم عليهم الخمر

---

[1] سورة المائدة، الآية 90.

[2] الشاطبي، الإمام جلال الدين، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الفجر للتراث القاهرة، ط1 ،1427هـ-2006م، ص90.

[3] سورة المائدة، الآية 93.

وحجةُ على الباقين لأن الله يقول:﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ** ﴾.[1] ؛فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله قد نهى أن تشرب الخمر قال عمر رضي الله عنه:"فماذا ترون؟" قال علي بن أبي طالب:" نرى أنه إذا شرب سكر،وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفترى ثمانون جلدةً، فأمر عمر فجلد ثمانين.[2]

وفي رواية أن عمر قال له: "أخطأت التأويل يا قدامة، إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك".[3]

3-التأويل الباطل: وهو التأويل الذي يصار إليه دون دليلٍ أصلاً.

ثانياً: أقسام التأويل من حيث البعد والقرب:

1-التأويل القريب: وهو التأويل الذي يظهر معناه وتتضح حقيقته بأدنى دليلٍ أو بيان، على معنى أنه لا يتردد فيه عند سماعه، بل يقع له القبول والرضا لوضوحه وظهوره.[4]

مثال على التأويل القريب، قول الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾.[5]

---

[1] سورة المائدة، الآية 90.

[2] الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1990م، ج4، ص417.

[3] عبد الرازق، أبو بكر ابن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، **المصنف**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2 1403هـ، ج9، ص242.

[4] هيتو، **الوجيز في التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص232.

[5] سورة المائدة، الآية 06.

فإن القيام إلى الصلاة مصروف عن معناه الظاهر إلى معنى قريب محتمل، وهو العزم على أداء الصلاة، والذي رجّح هذا الاحتمال أن الشارع الحكيم لا يطلب الوضوء من المكلفين بعد الشروع في الصلاة إذ إن الوضوء شرطُ لصحة الصلاة، فإن الشرط يوجد قبل وجود المشروط لا بعده، وهذا معنى قريب يتبادر فهمه لمجرد قراءته الآية أو سماعها.[1]

2-التـــأويل البعـــيد:

هو التأويل الذي لا يظهر معناه بأدنى دليل، بل يحتاج لدليلٍ أقوى من الظاهر حتى يؤول الظاهر عليه، بمعنى أن السامع يتردد كثيراً عند سماعه،بل ربما أنكره لبعده، ولا يستوعبه ولا يتفهمه إلا بدليل أقوى من ظاهره.[2]

لكن لا يوجد ضابط يمكن من خلاله تمييز التأويل القريب من البعيد، لأن القريب والبعيد من الأمور الإضافية، إذ رُبّ قريب بالنسبة لشيء بعيد بالنسبة لشيء آخر.[3]

ومثال على ذلك:" حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :"في كل أربعين شاةٍ شاةً"؛ فالحديث ظاهر في أن الواجب في زكاة الأربعين شاةٍ، شاةً واحدةً، ولكن الحنفية أوّلوا الحديث بإخراج شاة أو قيمتها، ودليل التأويل عندهم: أن العلة من الزكاة هي سد حاجة الفقير، بذلك فإن القيمة تسد حاجته كما تُسَد حاجته بالشاة، فكلا الأمرين، يجزئ، فهذا

[1] الزحيلي،وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر، بيروت، ط2، 1418هـ-1998م، ج1، ص216.

[2] الترمذي: **سنن الترمذي**. حديث رقم (621)، ج3، ص17.

[3] الأصبهاني، تحقيق: د.علي جمعة، **بيان المختصر**، دار السلام، مصر، ط1424،1هـ-2004م، مجلد3، ص618.

التأويل كما هو ملاحظة موافقُ للعقول، لكن الآمدي رحمه الله في كتابه الإحكام يعتبر هذا التأويل من التأويلات البعيدة غير المقبولة.[1]

ومن أمثلة التأويل البعيد:

ـ حديث **غيلان بن سلمة الثقفي** الذي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه فأمره النبي أن يتخير أربعاً منهن.

ظاهر الحديث: للزوج أن يختار أربعاً منهن دون ترتيبٍ ودون حاجةٍ إلى إعادة العقد، بدليل كلمة (**تخير**) وهي قرينة مرجحة، لكن الحنفية أولوا هذا الحديث تأويلاً بعيداً عن الفهم، لا يقوى على معارضة الظاهر.

تأويل الحنفية: وهو وجوب ابتداء النكاح إذا كان قد تزوجهن في عقدٍ واحدٍ، بدليل أن الزواج بأكثر من واحدةٍ في عقد واحد يبطل النكاح، وأيضا بالقياس، بأنه ليست واحدةً منهن أولى من الباقي، وإن تزوجهن متعاقبات اختار من الأول أربعاً وترك الباقي.[2]

ولكن كان تأويلهم بعيداً رده الأئمة إلى الثلاثة لوجود قرائن احتفت بالظاهر وردت هذا الاحتمال المرجوح الذي لم يجبره دليل قوي يعارض الظاهر. وقسم الشافعية التأويل إلى بعيد وقريب وتعذر غير مقبول.[3]

[1] الآمدي، المرجع السابق، ص 52-53.

[2] ابن قدامة، المرجع السابق، ص92.

[3] بادشاه، المرجع السابق، ص144.

والمتعذر عندهم:هو مالا يحتمله اللفظ لعدم وضعه له، وعدم العلاقة بينه وبين ما وضع له.[1]

[1] ابن الهمام، **التحرير**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ط، 1350هـ، ص45.

خصصنا هذا الفصل إلى ثلاث مباحث تحت عنوان علاقة السياق بالتأويل وتطبيقها في آيات قرآنية فالمبحث الأول المعنون بـ: علاقة السياق بالتأويل أما المبحث الثاني: توظيف السياق في آيات قرآنية وكذا المبحث الثالث والأخير: توظيف التأويل في آيات قرآنية.

المبحث الأول: علاقة السياق بالتأويل

تعد ثنائية السياق والتأويل من أهم المسائل التي تبقى مطروحة على بساط البحث رغم الأعمال الكثيرة التي تناولت جوانب مختلفة منها في اللغة والأدب والحضارة، فمن خلال فهم السياق وتحليل النصوص تستطيع الوصول إلى عملية التأويل منها تأويل النصوص والأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية....وغيرها، وبالتالي سوف أوضح هذه العلاقة كالآتي:

أولا: السيـــــاق

فالسياق بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها.[1]

[1] إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 2000، باب اللوق، القاهرة، ص 38.

"فالتعريف يسمح لنا أن نقول أن السياق هو جوهر المعن المقصود في أي بناء نصي أو كلامي فهو لا باقي الضوء على الكلمة والحملة فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة".

السياق أيضا: " هو تلك العلاقة المتشجرة بين جمل النص وعباراته وتجاوب الأصداء التي يصدها كل قسم منها في طرف فيلقاه طرف آخر ليتضح ويتكامل".[1]

[ومعنى ذلك أن التناسق والترابط والانسجام بين جمل النص يشكل السياق].

كما ورد السياق عند المحدثين "بأنه ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسرا الكلام، وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين شيء آخر كلاما كان أو غير كلام....".[2]

وقد أورد (**جميل صليبيا**) لمصطلح السياق ترجمتين هما: (contexte) في الفرنسية و(contexte) في الانجليزية، وقال إن: " سياق الكلام أسلوبه ومجراه، نقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وللتقيد بسياق الكلام في تفسير النصوص وتأويلها قائدة منهجية، لأن معنى العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا

---

[1] فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي، الأستاذة ميس سعاد، **مجلة الباحث دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة)**، جامعة ابن خلدون، تيارت (كلية اللغات والآداب)، العدد الثالث، 2012 ص 171_172.

[2] السياق غير اللغوي في النص القرآني، خليل خلف بشير العامري، **مجلة جامعة بابل**، جامعة البصرة، كلية الآداب المجلد 15، العدد 04، 2008، ص 1294.

شئت أن تفسر عبارة من نص وجب عليك أن تفسّرها بحسب موقعها في سياق ذلك النّص".[1]

[ومن ثمة يتضح لنا أن سياق الكلام له دور كبير في تفسير وتأويل النصوص وهذا راجع للتقيد به فإن لم تتقيد به ليس هناك فائدة، والسياق هو الذي يبين موقع العبارة في النص لأنها تختلف من موضع إلى آخر باختلاف مجرى الكلام وبالطبع فالسياق يساعدنا على ذلك حتى نستطيع تفسيرها].

والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، وهو أيضا: يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية".[2]

[وعليه بالرغم من تعدد وتنوع معاني الكلمة إلاّ أن السياق يفرض على هذه الأخيرة قيمة واحدة ويخلق لها أيضا قيمة حضورية، ويبعد عنها كل ما يتعلق بالدلالات الماضية التي دعتها الذاكرة لتتراكم عليها].

[1] جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 15.

[2] ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، فصيلة محكمة، العدد الثامن عشر، 1393هـ_2014م، ص 04.

ذكر صاحب أساس البلاغة أن لفظ السياق قد ورد استعماله (مجازيا) مع كل من: المتكلم الذي يسوق الحديث، والمخاطب " إليك يساق الحديث"، والكلام أي النص المنطوق أو المكتوب وذلك في قوله" هذا الكلام سياقه كذا".[1]

وورد لفظ السياق في استعمال اللغويين من غير أصحاب المعاجم بعدة معاني إلا أنه ما يهمنا التطرق إلى المعنى واحد فقط وهو: " القصة أو الظرف الخارجي" الذي يمكن فهم الكلام على ضوئها مضافا إلى ذلك ما يستفاد من المقال من ذلك ما ذكره السيوطي في النوع التاسع والعشرين وبيان الموصول لفظا المفصول معنى " في مثل قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)**﴾[2]. يقول السيوطي " إن الآية في قصة آدم وحواء كما يفهمه السياق، والسياق الذي يشير إليه هنا يتمثل في أمرين: الأول: سياق الموقف أو اختلاف القصة المفسرة لنزول الآيات وذلك حيث انتهت قصة آدم عند قوله تعالى: ﴿ **فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾. أما بعد ذلك لقد تخلص إلى قيمة العرب وإشراكهم الأصنام، أما الأمر الآخر الذي يدل عليه السياق وفهو تغيير الصغير إلى

[1] ينظر: د. عبد الفتاح عبد الحليم البركاوي، **دلالة السياق بيت التراث وعلم اللغة الحديث**، "دراسة تحليلة للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبة في ضوء نظرية السياق"، دار الكتب 1991/10082، ص 25_26.

[2] سورة آل عمران، الآية 189_190.

الجمع بعد التثنية ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان.....وكذلك الضمائر في قوله " أيشركون ما لا يخلق شيئا" وما بعده....إلى آخر الآيات.[1]

[يتبين من خلال ما سبق ذكره أن للسياق أثر وأهمية بالغة في تحديد وتبيان لمعاني النصوص والقصص والآيات القرآنية ويفهم أيضا من خلاله معاني الكلمات والجمل في سياقاتها المختلفة وبالتالي نستطيع بعد كل هذا الوصول إلى تأويل ما بعد فهمنا ومعرفتنا للسياق].

ثانيـا: التأويـــل

بعد معرفة معاني وألفاظ السياق يمكن لنا الانتقال إلى التأويل ولما له من دور في إبراز وتحديد وتأويل الأحاديث والسور القرآنية والنصوص وغيرهما وسوف نتعرف على هذا اللفظ كما يلي:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى[2]: (التأويل: التفسير، والمرجع والمصير). وهذا ما قرره أبو جعفر الطبري حيث قال: (وأما معنى (التأويل) في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير....وأصله من آل الشيء، إلى كذا: إذا صار إليه: يؤول أولا وأولته أنا: صيرته إليه).

---

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المرجع السابق، ص 27.

[2] **أبو عبيدة معمر بن المثنى:** " هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، كان إباضيا من أئمة اللغة والأدب، ومن حفاظ الحديث، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، له نحو ماشي مؤلف منها: " مجاز القرآن" "معاني القرآن" "طبقات الشعراء" توفي سنة 209هـ.

وقد قيل: إن قوله تعالى: **(وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا)**[1] أي جزاء وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه. وقد أنشد بعض الرواة قول الأعشى:

على أنها كانت تأوّل حبها تأول ربعي السقاب فتصحبا.

وقد عرّف إمام الحرمين التأويل بأنه: (رد الظاهر إلى ما إليه ما له في دعوى المؤول، وإنما يستعمل إذا علق بما يتلقى من الألفاظ منطوقا أو مفهوما).[2]

فالسمات التي تعلقت بلغة العرب، سواء في كيفية صرف اللفظ إلى معناه أو اكتشاف المعنى من السياق، أو ترجيح ما هو مسند بقرائن وأدلة واضحة،...وإلى ذلك رجع علماء الأصول حيث اهتموا بإيجاد توفيق بين مقتضيات الواقع المتغير وطبيعة النص، كما أنهم استنطقوا بنية النصوص وتجاوزوا الظاهر فيها، على اعتبار مثلا أن النص أي نص كان بمنظور تأويلي قاصر على تأدية المقصدية على وجه متيسر، وهو اعتراف بوجود فجوات داخل النص يتم ملؤها من قبل المتلقي.....بحيث يعمل التأويل العقلي المنطقي والتأويل اللغوي النسقي، والتأويل السياقي التاريخي، على ملء تلك الفجوات بما يتلاءم مع روح الخطاب في سياقته المتعددة ومقتضيات التخطاب.[3]

---

[1] سورة النساء، الآية 59، الإسراء، الآية 35.

[2] محمد أديب صالح، **تفسير النصوص في فقه الإسلامي**، المكتب الإسلامي، (بيروت، دمشق)، ط3، 1404هـ_1984م، المجلد الأول، ص 357_367.

[3] ينظر: منقور عبد الجليل، **النص والتأويل " دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2010م، ص 156.

ويقول ابن خلدون أيضا: عن التأويل " بأنه هو علم متضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على المتبدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.[1]

ويقول ابن تيمية في تحديد وظيفة المؤول: " والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعن الظاهر"، وتتلازم الوظيفتان لتجعل الخطاب مثلا الذي حوى المتشابه أصنافا أخرى من الخطابات على طريق ما يسمى في علم التأويل بالإرغامات النسقية، وهي تعني مجموع الجمل التي تنسل الجملة نص الخطاب، لتغطي حقولا مختلفة من الدلالات، كما مثلنا لها في غير هذا الموضع فالتأويل يدخل اللفظ في الخطاب أو مجموع الألفاظ في تلازم علائقي نسقي يكون محالا لإنتاج الدلالات ذلك أن النص لا يشتمل على المعنى، وإنما يدل على طريقه، فالعلامات التي تكونه لا تحيل على نفسها، وإنما على شيء آخر يستفاد من السياق ووسائط التلفظ المقامية.[2]

بعد الولوج إلى معرفة معنى كل من السياق والتأويل لابد وأن تعين لهما بعض النقاط تثبت صحة اشتراكهما مع بعضهما البعض وهي:

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، طبعة كتاب التحرير، القاهرة، 1966، ص 390.

[2] ينظر: منقور عبد الجليل، المرجع السابق، ص 159.

1_ توظيف السياق في تأويل مفهوم الأدلـــة:

لعل من المباحث الحرجة في المدونات الأصولية تلك المتعلقة بالمفاهيم والمصطلحات، ويعود سبب الحرج إلى شكل المفهوم حسب معتقد المتكلم وتصوراته المعرفية والأنطولوجية، بالإضافة إلى تدخل تأثيرات المذهب وسلطة الواقع بكل أبعاده، ومن هذا المنطلق نفهم تنّوع أراء الأصوليين واختلافهم في تحديد مفهوم الأدّلة، ومن ثمة في تحديد المصطلحات باعتبار أن المصطلح تابع للمفهوم وخادم له، وقد أشار الغزالي إلى إشكالية المصطلحات عند حديثه عن الحدود، يقول: "فالكتابة تبع للفظ إذ تدل عليه، واللفظ تبع للعلم إذ يدل عليه، والعلم تبع للمعلوم إذ يطابقه ويوافقه، وهذه الأربعة متطابقة متوازية إلا أنّ الأولين وجودان حقيقيان لا يختلفان بالأعصار والأمم والآخرين.[1]

وهو اللفظ والكتابة يختلفان بالإعصار والأمم لأنهما موضوعان بالاختبار، ولكن الأوضاع وإن اختلفت صورها فهي متفقة في أنها قصد بها مطابقة الحقيقة.

2_ توظيف السياق في تأويل حجية الأدلـــة:

أهم قسم مثّل توظيف السياق في تأويل معاني النصوص عند الأصوليين هو باب حجية الأدلة، وقد يفسر الأمر بحاجة الأصوليين إلى إضفاء شرعية على الأدلة التي يؤصّلونها، وهذه الشرعية لا تتأتي ولاّ بإفحام الخصم وتوهين براهينه، والتشكيك في كفاءته

[1] د. بثينة الخلاصي، **النص والتأويل في الخطاب الأصولي " آليات القراءة وسلطة التناص"**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص 51.

وفي نجاعة خطابه، الأمر الذي يتطلب ضرورة التسلح بقوانين الخطاب، والتهرس بفنون الحجاج والرد، والتدرب على تطويع المعن وصناعة اللفظ والتصرف في السياق، وقد أدرك الأصوليين هذه الآليات، وعملوا على تطبيقها في نصوصهم وهو ما تجلى واضحا سواء عند مثبتي بعض الأدلة أو النافيين لها.

أ_ توظيف السياق عند مثبتي بعض الأدلـــــة:

استأنس الأصوليين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات بعض الأدلة التشريعية المختلف فيها، ولئن كانت غاية هذا الإثبات حجاجيّة بالأساس تنهض على دفاع الأصولي عن مذهبه والانتصار لمعتقده، فإنها أبانت عن خطة في التبرير والتعليل أكثر من رغبة الأصولي في التحقيق والبحث عن حقيقة المعنى في الآية أو الحديث وفي مساءلة القرائن المقامية والمقالية، ودراسة أسباب النزول أو مجرد ذكرها، فكأن المعنى نهائي عندهم، وكأن الدلالة منجزة فيما يختارونه من تأويلا لا يسيرون بها في الأخير عن صناعة المعنى فحسب بل عن امتلاكه، وكلما مهروا في هذه الصناعة عبروا عن حقهم في الامتلاك وأقصوا المخالف لهم رؤية ومنهجا... وإنما سعى الأصوليين إلى تجميع الآيات المتضمنة مثلا: معن العبور، فقد ذكر النسفي (ت 710هـ) نقلا عن غيره " وإن العبرة معناها العبور، ومنها قوله تعالى:﴿ **وإِن كُنتُمْ لِلرّءْيا تَعْبرُونَ**﴾[1].[2]

[1] سورة يوسف، الآية 43.

[2] ينظر: د, بثينة الجلاصي، المرجع السابق، ص 52_ 60. (بتصرف)

ولئن تبنى أغلب الأصوليين هذا المعنى، واعتمدوا فقد فنده المفسرون، ورفضوا إقرار معنى المجاوزة في هذه الآية وصولها على معنى الإقتاء والتأويل مستندين في ذلك إلى مقامان قولية اقتضاها سباق التلفظ ومنطق استرسال الدلالة، وفي ذلك يقول الطبري (ت 310هـ) مفسرا هذه الآية: يقول 'العزيز': يأيها الأشراف من رجالي وأصحابي أفتوني في رؤياي، فاعبروها إن كنتم للرؤيا عبرة، وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: ثم إن الملك الريان بن الوليد رأي رؤياه التي رأى فهالته، وعرف أنها رؤيا واقعة، ولم يدر ما تأويلها".

ب_ توظيف السيـاق عند نقاة بعض الأدلـــــة:

فمن الوجوه التي استند فيها النقاة إلى السياق في توجيه معنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية نفيهم القياس حجة شرعية، ويظهر ذلك من خلال الاحتجاج بالآية الأولى من سورة الحجرات. وقال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ والآية السادسة والثلاثين من سورة الإسراء ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾. إلى جانب آيات أخرى، فقد بيّن ابن حزم من خلال هذه الآيات قصور الإنسان على الإحاطة بعلم الله وجهله في مقابل عمال الشريعة، ولذلك فإنّ القول على الله بغير علم وبغير نصّ حرام في نظر ابن حزم، بل هو مقرون بالشرك وأمر من إبليس على حدّ عبارته، وقد فسّر هذه الآيات على أنّها أمر بإتباع ما نصّ عليه الله وما بينّه الرسول، ولذلك يطل القول فيما لم يعلم به الإنسان، وبطل القول أصلا في تأويل ما لم يرد فيه نصّ وهو معنى قوله "وهذه نصوص

مبطلة للقياس، وللقول في الدّين بغير نص لأن السياق على ما بينّ قفوا لما لا علم لهم به، وتقديم بين يدي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واستدراك على الله تعالى ورسوله ما لم يذكراه، ولئن كان ابن حزم يعيب على القائلين بالقياس تصرفهم في معاني الآيات وانصرافهم عن الإلمام بالسياق وتجميع القرائن الدالة على المعنى.[1]

فإنه وقع في نفس المأزق، ومارس نفس الخطة التي اعتمدها مخالفوه، ومما يؤيد هذا القول أن الآية الأولى من سورة الحجرات نزلت في سياق معين حسب ما نصّ على ذلك الطبري وغيره من المفسرين إذ أنّ قوما عمدوا إلى الذبح قبل أن يصلّي الرسول فنزلت هذه الآية نهيا لما أقدمو عليه، يقول الطبري مستندا إلى الأخبار التي تنص على سياق الآية: " حدثنا ابن عبد الأعلى، ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله" يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، قال: إن أناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا، ولو أنزل في كذا وقال الحسن: هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبي، فأمرهم النبي أن يعيدوا الذبح" فمهما يكن في هذه الآية من نهي عن عدم تجاوز النص الشرعي فإنها لا تدل بالضرورة على إبطال القياس ولا تدل أصلا على أن القياس تجاوز للنص سيما إذا حرص المستدل على الاستدلال به وتقصي الحكمة في ثناياه.

وبعد فإن أمر السياق في علاقته بممكنات التأويل في الخطاب الأصولي مثلا يعدّ مسألة محورية لأنّ السياق يوجّه القراءة ويضيف التأويل، ويحّدد اتساع الاحتمالات، وقد

[1] ينظر: د. بثينة الجلاصي، المرجع السابق، ص 60_64.

وعى الأصوليون والمفسرون وكلّ الذين قاربوا النصوص واشتغلوا عليها بأن أمر المعنى موكول إلى السياق، وأن خصوبة التكاثر فيه نقل باستحضار القرائن المقامية والتلفظية وبهذا التعليل يمكن تفسير تجاهل للسياق عند الأصوليين، وعدم اهتمامهم بأسباب نزول الآيات واطمئنانهم إلى المعنى المستنبط استنباطا يرضي انتماءاتهم العقدية والمذهبية والسياسية.

وفي قضية التأويل " لقد كشف تعامل الأصوليين مع السياق في تعريف الأدلة، وفي الاحتجاج لها عن وعيهم بأن تمثل السياق والاعتناء به يؤدي ضرورة إلى انسجام التأويلات وتقييد المعنى وتضييق الدلالة، وهو ما يهدد طموح الأصولي في إقرار المعنى المنظم سلفا في ذهنه، واعتباره الحقيقة، ووجه الصواب، والدليل على هذا الأمر هو إعراض أغلب الأصوليين عن الاهتمام بسياق الآيات والسور، وشرحها شرحا مخالفا لما تضمنته مدّونات التفسير، وقد تفطن الشاطبي إلى هذا الأمر، وأكّد ضرورة الإلمام بعلم أسباب النزول، وضرورة الاهتمام بسياق السورة فالآية لأن اجتثاث السياق يعني بالضرورة احتكار المعنى أو تسلط التأويل على حدّ عبارة الشاطبي وذلك من خلال التمكن من آلية الهدم والبناء، وإتقان استراتيجيا المواجهة والتبكيت.[1]

[يتضح من خلال ما سبق أن ثنائية العلاقة بين السياق والتأويل روح متكامل أحدهما مكملا للأخر فالسياق يحدد معاني الألفاظ والنصوص والكلمات والآيات وبالتالي هو

[1] ينظر: د. بثينة الجلاصي، المرجع السابق، ص 64_67.

الشيء الأولي الذي يضفي ويفسح الطريق للتأويل فلا وجود للسياق دون التأويل ولا التأويل بدون السياق].

المبحث الثاني:السياق في القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن هدى للناس، وبينّات من الهدى والفرقان وكما كان تبياناً لكل شيء، كان أيضاً مبيّناً لنفسه،موضحاً لمراميه وغاياته وقد اتفق المفسرون على " أن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان قد فصّل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بسط في آخر؛"وبعبارة مختصرة"، "القرآن يفسر بعضه بعضاً".

أولاً:من حيث مفهوم السياق

إن السياق القرآني هو جزءُ من السياق والأغراض التي تبنى عليها الآيات القرآنية.

–فالقرآن الكريم استعمل ألفاظاً تحمل مدلولاً مترادفاً، ولكنها في السياق تعطي مدلولاً مغايراً نحو الغيث والمطر.[1]

ومثال ذلك: قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾.[2]

فالمطر والغيث كلاهما يحملان معنى واحد،**فالغيث:**المطر والكلأ،**والمطر:**الماء المنسكب من السحاب.[3]

[1] الجاحظ ،المرجع السابق،(بتصرف)،ص20.

[2] سورة الشورى،الآية 68.

[3] ينظر ابن منظور، مرجع سابق،ص1034.

ثانياً: من حيث أهميته

إن البحث الدلالي للآيات ومعرفة المراد بها ، يتوقف بشكل كبير على دراسة ظواهر الآيات وسياقها، لذا كانت عناية المفسرين بذلك فائقة ومستندهم في قبول كثير من الآراء أوردُها الرجوع إلى السياق، فهو الذي يعين على المعنى خصوصاً عند الإشكال،سواء الإبهام في المعنى وتردده بين الحقيقة والمجاز،لاحتمال اللفظ لأكثر من معنى، أو لعمومه وإجماله وغير ذلك، لذا أكد الزركشي دور السياق في هذا المجال، بأنه:"يرشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنّوع الدلالة".[1]

وتمثلت أهمية السياق في النقاط التالية:

1-أنه يعين على بيان المعنى وتحديده.

2-أنه مهم في بيان صحة التفسير، والترجيح عند الاختلاف.

3-السياق مهم في بيان المناسبات على اختلاف أنواعها، فهناك المناسبة بين السور،والمناسبة بين الآيات، والمناسبة بين القصص، والمناسبة بين كلمات السور الواحدة،والمناسبة بين السور واسمها.

4-وهو مهم في بيان مرجع الضمير.

5-ويعين السياق على بيان المحذوف.

---

[1] الزركشي بدر الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1391هـ،ج2،ص201.

6-مهم في تحديد معنى المشترك اللفظي وهو ما احتمل لفظه معنيين فأكثر.[1]

7-ويعيين السياق على تحديد زمن النزول.

8-السياق مهم في الدلالة على وجود النسخ وعدمه.

9- يعيين السياق على بيان سبب النزول الصحيح عند تعدد أسباب النزول.

10-يعين السياق على تحديد أسلوب الكلام.

11-مهم في الرد على الفرق المنحرفة عن العقيدة الصحيحة.

12-السياق مهم في تخصيص العام أوتعميم الخاص.

13-للسياق أهمية في الترجيح بين معاني القراءات.

14-معين على معرفة سبب التقديم.

15-السياق مهم في إظهار الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

16-السياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

فمن خلال هذه النقاط سوف أوضح بعض منها آيات قرآنية هي:

1-بيان مرجع الضمير:

مثال: قوله تعالى:﴿ **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ** ﴾.[2]

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د.عمر الطباع ، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، مصدر السابق، ص، 328.

[2] سورة النساء،الآية 11

قد يكون مفهوما من السياق أن الضمير يعود على الميت المفهوم من قوله : (مما ترك).[1]

أما تفسير قوله تعالى :﴿ **وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ** ﴾ إلى آخره عند ابن كثير يتمثل فيما يلي:

الأبوان لهما في الإرث أحوال [أحدها] أن يجتمعا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس، فإن لم يكن للميت إلا بنت واحدة، فرض لها النصف وللأبوين لكل واحد منهما السدس، وأخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب، فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب...[2]

ومثال آخر يوضح مدى التزام المفسر في بيان مرجع الضمير.

اختلف المفسرون في مرجع الضمير المفعول به، فقيل: يعود على القرية، لقوله تعالى في سورة الأعـــــراف:﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ** ﴾.[3]

أيضا قوله تعالى:﴿ **فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)** ﴾.[4]

---

[1] إعداد: د. عبد الله بن محمد الجيوسي، " ورقة عمل مقدمة لـ ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية، جامعة القصيم"، " **ترجيحات العلامة ابن عثيمين في التفسير (دلالة السياق نموذجا)**"، جامعة اليرموك، الأردن، ص 312.

[2] الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي العزاء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، صححها لجنة من الأساتذة المختصيين بإشراف الناشر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1410_1990، ص133.

[3] سورة الأعراف، الآية 163.

[4] سورة البقرة، الآية 65_66.

فكلمة [فجعلناها] في قوله تعالى أي صيرناها.

فمرجع الضمير في هذه الآية يعود على العقوبة. فيكون المعنى: فجعلنا هذه العقوبة نكالا.

وتحدث في الآية نفسها عن مرجع ضمير آخر (ابن عثيمين)، هو الهاء من قوله تعالى "فجعلناها"، قال، قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا**﴾ اختلف في مرجع الضمير "ها"، فقيل: يرجع إلى القرية، فيكون: [لما بين يديها]، ما قرب منها من القرى من أمامها، و[ما خلفها] ما كان من القرى من خلفها، لأن أهل القرى علموا بما نزل بها من العقوبة، فكان ذلك نكالا لهم وقيل: إن المراد بـ "ما بين يديها".[1]

ما يأتي بعدها: "وما خلفها": ما سبقها، ولكن في هذا إشكالا؛ لأن من سبقها قد مضى فلا يكون منتفعا، ولا ناكلاً إلاّ أن يراد بـ " ما بين يديها" من عاصرها، و" ما خلفها": من يأتي بعدهم، ويكون " **الخَلْف**" هنا بمعنى الأمام، كما جاء " **الوارء**" بمعنى الأمام في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سفِينِة غَصْباً**﴾.[2]

ومثال آخر يوضح فيه ابن عثيمين مرجع الضمير استدلالاً بالسياق.

قولـه تعالى:﴿**فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلْقُومَ**﴾[3]؛ أي: الروح، والذي يعين المرجع هنا السياق كما في قول الله تبارك وتعالى" فقال إنّي أَحَببت حُبَّ الخَيْرِ عن ذِكْرِ رَبِي حتّى توارث

[1].إعداد: د. عبد الله محمد الجيوسي، المرجع السابق ، ص 313.

[2] سورة الكهف، الآية 79.

[3] سورة الواقعة، الآية83.

بالحجاب، أي: الشمس، ولم يسبق لها ذكره، ولكن السياق يدل على ذلك، فمرجع الضمير تارة يكون مذكوراً، وتارة يكون معلوماً، إما بالسياق وإما بشيء آخر".

2- بيان المحذوف:

فقد يعين السياق على بيان المحذوف، وأمثلة هذا النوع أكثر الأنواع وروداً في تفسيره (ابن عثيمين) فمعروف أن الحذف من أبواب علم المعاني، وهو من بلاغة القرآن الكريم، وتتمثل هذه الأنواع بحسب ورودها في تفسيره رحمة الله عليه فيما يلي:

-تقدير المحذوف بعد همزة الاستفهام الداخلة على النفي، حيث أشار علماء العربية إلى أن بعد الهمز محذوف مقدر، من ذلك: قوله تعالى:﴿**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾؛[1] أي موضع اتعاظ للذين يتقون الله.

ويلحق به المحذوف المقدر بعد همزة الاستفهام، كما في قوله تعالى:﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾.[2] فالفاء واقعة بعد همزة الاستفهام؛ وهذا يكثر في القرآن كما في قوله تعالى: **[أفلا تعقلون]، [أفلا تذكرون]، [أفلم يسيروا]، [أولم يسيروا]** قوله تعالى: ﴿**أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءامَنتم بِهِ**﴾[3].[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 66.

[2] سورة البقرة، الآية 44.

[3] سورة يونس، الآية 51.

[4] اعداد: د. عبد الله بن محمد الجيوسي، المرجع السابق، ص 313، 314، 315.

وأشباه ذلك؛ " يعني أنه يأتي حرف العطف بعد همزة الاستفهام؛ وهمزة الاستفهام لها الصدارة في جملتها؛ ولا صدارة مع وجود العاطف؛ لأن الفاء عاطفة؛ فقال بعض النحويين: إن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة عُطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف، وهذه الجملة تقدر بما يناسب المقام؛ **وقال آخرون:** بل إن الهمزة مقدمة؛ وإن حرف العطف هو الذي تأخر.يعني زُحلق حرف العطف عن مكانه،وجعلت الهمزة مكانه؛ وعلى هذا فيكون التقدير:أفلا تعقلون؛ أما على الأول فيكون التقدير:أجهلتم فلا تعقلون؛أو:أسفهتم فلا تعقلون...المهم يقدر شيء مناسب حسب السياق؛ فالقول الأول أدق؛ والثاني أسهل؛لأن الثاني لايحتاج عناءً وتكلفاً فيما تقدره بين الهمزة والعاطف...".

-ومن ذلك ما قاله عند تفسير:قوله تعالى:﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾.[1]

فإذا قال قائل: أي شيء يدلنا على أن الاستفهام للتشويق، أو للتهديد، أو للاستخبار أو ما أشبه ذلك؟

نقول: الذي يدلنا على هذا السياق وقرائن الأحوال، والعاقل يفهم هذا وهذا.

-ومثاله **الحذف في ضمير الشأن:**

كما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الضَّالِّينَ**﴾.[2]

قال:[إن] مخففة من الثقيلة؛ فهي للتوكيد بدليل وجود اللام الفارقة؛ والتقدير:وإنكم كنتم من قبله لمن الضالين؛ واسم [إن] ضمير الشأن محذوف؛ وهو مناسب للسياق؛ وبعض النحويين

[1] سورة الغاشية، الآية 01.

[2] سورة البقرة، الآية 198.

يقدر ضمير الشأن دائماً بضمير مفرد مذكر غائب فيكون التقدير: وإنه أي الشأن والصواب القول الأول أنه يقدر بما يقتضيه السياق–يعني: وإنكم كنتم من قبله لمن الضالين.

–بعد حروف العطف:

مثاله قوله تعالى:﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾.[1]

قال:" الفاء هنا عاطفة؛ و المعطوف عليه محذوف معلوم من السياق اللاحق،كقوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا** ﴾.[2]؛ وعلى كل حال لابد أن يكون المعنى أنهم اختلفوا؛ فُبعث الرسل؛ ونظير هذا من المحذوف الذي يعينه السياق قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾.[3،4]

فالمريض والمسافر ليس عليهما العدة لو صاما؛ إذاً لابد أن نقدر:فأفطر فعليه عدة؛ و"بعث" بمعنى أرسل،كقوله تعالى:﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَات**﴾.[5]؛والمراد ب [النبيين] هنا الرسل.[6]

---

[1] سورة البقرة، الآية213.

[2] سورة يونس، الآية 19.

[3] سورة البقرة، الآية 185.

[4] اعداد: د.عبد الله بن محمد الجيوسي، مرجع سابق، ص316،315.

[5] سورة الحديد، الآية 25.

[6] اعداد:د. عبد الله بن محمد الجيوسي، مرجع سابق،ص173.

3-السياق مهم في بيان المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

1-أول المتشابهات:قوله تعالى:﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(3) مَالِكِ(4)**﴾.[1]؛فيمن جعل﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم**﴾. وفي تكراره قولان: **قال علي بن عيسى:** إنما كرر للتوكيد، وأنشد **قول الشاعـــــــر:**

هَلاَّ سَألتِ جُمُوع كندة يومَ ولَّوا أيْنَ أَيْنَا؟

وقال قاسم بن حبيب: إنما كرر؛ لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج، وذكر في الآية الأولى المنعم، ولم يذكر المنعَم عليهم؛ فأعادها مع ذكرهم،وقال تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)**﴾.[2]؛لهم جميعاً ينعم عليهم ويرزقهم."الرحيم" بالمؤمنين خاصة يوم الدين، ينعم عليهم ويغفر لهم.

2-قوله تعالى:﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾.[3]؛كرر﴿ إِيَّاكَ ﴾ وقدمه، ولم يقتصر على ذكره مرة،كما اقتصر على ذكر أحد المفعولين في آيات كثيرة منها:﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾.[4]؛أي: ما قلاك، وكذلك الآيات التي بعدها معناها:(فآواك، فهداك،فأغناك)؛لأن في التقديم فائدة، وهي قطع الاشتراك،ولو حذف لم يدل على التقديم؛لأنك لو **قلت:** إياك نعبد ونستعين، لم يظهر أن التقدير:إياك نعبد وإياك نستعين،أم إياك نعبد ونستعينك،فكرر.

---

[1] سورة الفاتحة، الآية 03-04.

[2] سورة الفاتحة، الآية02-03.

[3] سورة الفاتحة،الآية 05.

[4] سورة الضحى،الآية03.

3-قوله تعالى: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾.[1]؛كرر(الصراط)؛ لعلة تقرب مما ذكرت في﴿اَلرَّحْمَنِ اِلرَّحيم﴾؛وذلك أن الصراط هو: المكان المهيأ للسلوك، فذكر في الأول المكان،ولم يذكر السالكين،فأعاده مع ذكرهم، فقال:﴿ **إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الْأُمُورُ (53)**﴾.[2]؛ لأنه ذكر المكان المهيأ؛ولم يذكر المهيئ.[3]

فأعاده مع ذكره، **فقال:**﴿ **صِرَاطِ اللَّهِ**﴾ أي الذي هيأه للسالكين.

4-قوله تعالى:"**عَلَيْهِمْ**" ليس بتكرار؛لأن كل واحد منهما متصل بفعل غير الآخر،وهو الإنعام والغضب، وكل واحد منهما يقتضيه اللفظ، وما كان هذا سبيله فليس بتكرار، ولا من المتشابه.

5-في قوله تعالى:﴿ **الم** ﴾.[4] ؛هذه الآية تتكرر في أوائل ست سور، فهي من المتشابه(أيضاً) لفظاً. وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى:﴿ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾.[5]

هي هذه الحروف الواقعة في أوائل السور،فهي أيضاً من المتشابه لفظاً ومعنى، والموجب لذكره أول(البقرة) من القسم وغيره، وهو بعينه الموجب لذكره في أوائل سائر السور

---

[1] سورة الفاتحة،الآية 07 .

[2] سورة الشورى،الآية 52-53.

[3] برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة،بن نصر الكرماني"تاج القرَّاء"،تحقيق وشرح وتعليق: د.السيد الجميلي، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**،مركز الكتاب للنشر،مصر الجديدة-القاهرة:1993/7/21،ص1314.

[4] سورة البقرة، الآية 01 .

[5] سورة آل عمران، الآية 07 .

المبدوءة به، وزاد في الأعراف (صادً)؛لما جاء بعدها،قوله تعالى:﴿ **إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ** ﴾.[1]؛ولهذا قال بعض المفسرين:معنى"الَمصَ"،﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾.[2]؛وقيل:معناه المصور، وزاد في الرعد راء؛ لقوله بعده:﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ** ﴾.[3]

6-قوله تعالى:﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ** ﴾.[4]؛وفي" سورة يس":﴿وَ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ** ﴾.[5]

بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم(إن)، وما في"يس" جملة عاطفت بالواو على جملة.

7-قوله تعالى:﴿ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾.[6]؛ليس في القرآن غيره تكرار العامل مع حرف العطف لا يكون إلا بالتأكيد، وهذه حكاية كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم؛ نفياً للريبة، وإبعاداً للتهمة، فكانوا في ذلك كما **قيل**:"يكاد المريب **يقول**:خذوني " فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال تعالى:﴿ **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**﴾.[7]؛ويكثر ذلك مع النفي، وقد جاء القرآن على

---

[1] سورة الأعراف،الآية 02 .

[2] سورة الشرح، الآية 01 .

[3] سورة الرعد، الآية 02.

[4] سورة البقرة، الآية 06.

[5] سورة يس، الآية 10

[6] سورة البقرة، الآية 08 .

[7] سورة البقرة، الآية 08.

موضعين:في سورة النساء:﴿ **وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾.[1]، وفي سورة التوبة﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾.[2،3]

4-يعين السياق على بيان سبب النزول الصحيح عند تعدد أسباب النزول:

ندرج المثال التالي لنثبت أهمية سبب النزول في إدراك المعنى، والسياق هو الذي يوضح ذلك، يقول عزّوجل:﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.[4]؛فالآية قد يفهم منها جواز التوجه في الصلاة إلى غير القبلة، وهذا الفهم الخاطئ؛لأن استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة، وبمعرفة سبب النزول يتّضح فهم الآية، فقد نزلت هذه الآية الكريمة"فيمن كان في (سفر) وأوضاع القبلة فلم يعرف جهتها فإنّه يجتهد ويتحرّى ثم يصلي فإلى أيّ جهة صلى تصحّ صلاته، ولا تجب عليه إعادة الصلاة فيما إذا تبيّن له بعد الانتهاء خطأ توجهه"، فالآية إذن ليست عامة، وإنّما هي خاصة فيمن جهل القبلة فلم يعرف جهتها، وفي قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى(5)**﴾.[5]؛ نحاول بهذه الآية أن نبين أهمية السياق للنحو وعلاقته به، ففي الآية نجد"دلالة فاء العطف على التعقيب من خلال السياق فقد **قال بعضهم:** تعقيب كل شيء بحسبه فإذا قلت دخلت مصر فمكة أفادت الفاء التعقيب على الوجه الذي يمكن، **وقال ابن**

---

[1] سورة النساء، الآية 38.

[2] سورة التوبة، الآية 29.

[3] ينظر: برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني"تاج القرّاء"،مصدر سابق، ض14-15-16.

[4] سورة البقرة، الآية 115.

[5] سورة الأعلى، الآية 04-05.

هشام: تفيد الفاء التعقيب وهو في كل شيء بحسبه ألا ترى أنّه يقال: تزوج فلان فولد له إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل وإن كانت متطاولة دخلت البصرة فبغداد إذا لم تقم في البصرة ولا بين البلدين..."[1].

ثالثاً: من حيث الأنواع

لقد تطرقنا في الفصل الأول لهذه الدراسة إلى شرح وتفصيل معنى كل نوع من هذه الأنواع وهي أربعة: السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف أو المقام، السياق الثقافي إلاَّ أنني سوف أوضح في هذا المبحث من الفصل الثالث أمثلة لهذه الأنواع في آيات قرآنية لكن سوف أخصص منها البعض: السياق العاطفي وسياق الموقف أو المقام والسياق الثقافي وهي كالآتي:

1-السياق العاطفي(الانفعالي): هو الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني، فهُو مرتبط بالانفعال الذي يؤكد قيمة الفعل وأهميته.

قال تعالى:﴿ **قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[2]، في الآية نجد سبحانه وتعالى أنه قال:﴿أُشْهِدُ الله واشْهَدُواْ﴾ ولم يقل" و﴿وأشْهِدُكُم﴾ليكون موازنا له لأنّ إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلاَّ تهاونُ بهم، ودلالة على قلّة المبالاة بأمرهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء

[1] ينظر: فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي، الأستاذة: ميس سعاد، مرجع سابق، ص175-176.

[2] سورة هود، الآية 54.

به على لفظ الأمر؛فنلاحظ أن التعبير بلفظ معيّن يحمل في طياته دلالات انفعالية وعاطفية يعبر من خلاله عن موقفه، ويختصر التعبير عن إحساسه بذلك اللفظ.

قال تعالى:﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾.[1]؛ قرئ(حمّالة الحطب) بالرفع والنصب وأحسنها بالنّصب لأنّه على الذمّ لها؛" لأنها كانت قد اشتُهرت بالنّميمة، فجرت صفتها على الذّم لها لا للتّخصيص، وفي الرفع أيضاً ذمٌّ، لكن هو في النصب أبيت، لأنّك إذا نصبت لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفاً وتبيينا، إذا لم تُجِر الإعراب على مثل إعرابها، إنما قصدت إلى ذمّها لا لتخصيصها من غيرها بهذه الصفة التي اختصصتها بها"

2_ سياق الموقف أو المقام:

وهو ما يعرف في الدراسات التراثية بالدلالة المقامية، فهو مرتبط بالموقف الخارجي الذي تقع فيه الكلمة، **ومثال** سياق الموقف الذي يدل عليه التأويل النحوي نجده من مثل قوله تعالى:﴿ **قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ** ﴾.[2]،نجد الرفع في كلمة (سلامٌ) الثانية جاء ذلك لأنّ" رفع السلام الثاني للدلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحيّة أحسنَ من تحيّتهم.[3]ح لأن الرفع دّل على ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمداً، ففيه دلالة على الدوام والثبوت عليه، **يقول فخر الدين الرازي:**" قالوا سلاماً تقديره سلّمنا عليك سلاماً قال سلاماً تقديره أمري سلام أي لست مريداً غير السلامة والصّلح.**قال الواحدي** ويحتمل أن

[1] سورة المسد، الآية 04.

[2] سورة هود، الآية 69.

[3] فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي، الأستاذة ميس سعاد، مرجع سابق، ص172-173.

يكون المراد سلام عليكم فجاء به مرفوعاً حكاية لقوله كما قال وحذف عنه الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل وإنّما يحسن هذا الحذف إذا كان المقصود معلوماً بعد الحذف فههنا المقصود معلوم فلا جرم حسن الحذف، ونظيره قوله تعالى: فاصفح عنهم وقال سلام على حذف الخبر واعلم أنّه سلم بعضهم على بعض رعاية للإذن المذكور في قوله تعالى:"لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها".

3_الســـــياق الثقافي:

وهو السياق الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي،"ذلك المعنى الذي توحي به الكلمة أو الجملة والمرتبط بحضارة معينة، أو مجتمع معيّن ويدعى أيضاً المعنى الثقافي"، فهو يعبر عن القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، قال تعالى:﴿ **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً**﴾.[1]،فالزرقة في الآية وفي وقت نُزولها تُشير إلى معنى معيّن وهو ما يبينّه **الزمخشري** والذي **يقول**:"قيل في الزرق قولان، أحدهما: أنّ الزُرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأنّ الروم أعداؤهم وهم زرق العيون، ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسود الكبد أصهب السابل، أزرق العين. والثاني:أن المراد العمى؛ لأن حدقة من يذهب نور بصره تزراقّ"،ولكن دلالة اللون اليوم تغيّرت بتغيّر الطبع الاجتماعي والأعراف وحتى الزمن.

[1] سورة طه، الآية 102.

قال تعالى:﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**﴾.[1]،هناك من قرأ بالنصب في لفظ (كُلَّ) ولكنه لا يتماشى مع الواقع، وهناك من قرأ بالرفع وهو الأصلاح؛" لأنّ نصبه يؤدي إلى فساد المعنى؛ لأن الواقع خلافه، وذلك أنّك لو نصبته لكان التقدير: فعلوا كلَّ شيء في الزُبرُ، وهو خلاف الواقع؛ إذ في الزبر أشياء كثيرة جدّا لم يفعلوها، ولذلك اتّفق على رفعه، فالسياق الثقافي المتّفق عليه هو الذي ساعد الإعراب على أن يتماشى مع تركيب الجملة والواقع.[2]

أما **أنـــواع السيـــــاق في القـــــــرآن الكـــــريم** تتمثل فيمايلي:

سياق الآية ، سياق النص، سياق السورة، سياق القرآن، فسوف أوضف نوعين من هذه الأنواع في آيات قرآنية كالآتي:

1-سيـــــــاق الآيـــــــة:

قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.[3]

غرض هذه الآية هو بيان شرف النفقة ومضاعفة أجرها، تحريضاً على الإنفاق في سبيل الله تعالى **قال ابن عطية:**"هذه الآية لفظها بيان مثل شرف النفقة في سبيل الله ويحسنها، وضمنها التحريض على ذلك".[4]

---

[1] سورة القمر،الآية 52.

[2] فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي، الأستاذة: ميس سعاد، مرجع سابق ،ص173

[3] سورة البقرة، الآية 261.

[4] ابن عطية، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، **المحرر الوجيز**، المكتبة العصرية، بيروت 1988،ج1، ص355.

2-سيـــــــــــاق القـــــــرآن:

من أمثلة رفض **الزمخشري** أن يكون معنى النكاح الوطء، وبين المعنى الصحيح معتمداً على سياق القرآن، وأورد الآية الكريمة قوله تعالى:﴿ **الزَّانِي لا يَنكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**﴾.[1]

يقول رحمه الله:"قيلَ المراد بالنكاح الوطء وليس بقول،لأمرين، أحدهما:أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترِدْ إلا في معنى العقد.

والثاني:فساد المعنى وأداؤه إلى **قولك:**"**الزّاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زَانٍ**".[2]

كما وردت هذه الآية في التفسير **الموضوعي لسور القرآن الكريم** "**الدكتور.مصطفى مسلم**":" بأن ابن أبي حاتم أخرج عن مقاتل، لما قَدِمَ المهاجرون المدينة، قدموها وهم بجهد إلا قليل منهم والمدينة غالية السَّعر شديدة الجهد، وفي السوق زوان متعالنات من أهل الكتاب، وأما الأنصار منهن أميمة وليدة عبد الله بن أبيَّ ومسكية بنت أمية لرجل من الأنصار في بغايا من ولائد الأنصار قد رفعت كل امرأة منهن علامة على بابها ليعرف أنها زانية وكنَّ من أخصب أهل المدينة وأكثرهم خيراً، فرغب أناس من مهاجري المسلمين فيما يكتسبن للذين هم فيه من الجهد، فأشار بعضهم على بعض لو تزوجنا بعض هؤلاء الزواني

---

[1] سورة النور، الآية 03.

[2] الزمخشري، تصحيح محمد عبد السلام شاهين، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 ،1415هـ،ج3، ص207.

فنصيب من فضول أطعامهن!فقال بعضهم: نستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوه فقالوا يا رسول الله قد شق علينا الجهد ولا نجد ما نأكل! وفي السوق بغايا نساء أهل الكتاب وولائدهن وولائد الأنصار يكتسبن لأنفسهن فيصلح لنا أن نتزوج منهن فنصيب من فضول ما يكتسبن فإذا وجدنا عنهن غني تركناهن؟ فأنزل الله"**الزَّانَى لايَنكِحُ**" ،فحُرم المؤمنين أن يتزوجوا الزواني المسافحات العالنات زناهن؛وروي على أن هذه الآية نزلت في أهل الصفة، وكانوا قوماً من المهاجرين، ولم يكن لهم في المدينة مساكن ولا عشائر، فنزلوا صفة المسجد، وكانوا أربعمائة رجل، يلتمسون، الرزق بالنهار، ويأوون إلى الصفة بالليل، وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور، مناصيب بالكسوة والطعام،فهّم أهل الصفة أن يتزوجوهن فيأووا إلى مساكنهن، ويأكلوا من طعامعهن وكسوتهن، فنزلت هذه الآية صيانة لهم عن ذلك.[1]

4-من حيث الأركان:

للسياق ثلاثة أركان تتمثل فيما يلي:

1-السباق.

2-اللحاق.

3-ألفاظ الكلام:هذا الركن يقوم على ثلاثة أمور هي:

أ-المفرادات .

[1] ينظر:د.مصطفى مسلم، إعداد:نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة،**المجلد الخامس** "**الأنبياء-العنكبوت**"،ط1431،1هـ-2010م،ص 172-173.

ب-هيئة الكلمة.

ج-النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتها ببعض.

سوف أوضح ركنين من هذه الأركان في آيات قرآنية كالآتي:

1-الســـــباق:

هذا الركن مهم في بيان معنى السياق وحقيقته، فلا يمكن التعرف على معنى الكلام بدون الرجوع إلى ما يسبقه من عبارات تشتمل على القرائن المؤدية للمعنى، ومثال ذلك:في قوله تعالى:﴿ **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾.[1]

جاء تفسير هذه الآية في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم حيث قال في تفسيره: المؤمنين لقد هددهم سبحانه بحكمة الحق يوم القيامة، وهو الذي يعلم ما في الصدور، وعليهم أن لا يفتروا بجريان الأحكام الشرعية عليهم ظاهراً في الحياة الدنيا، لما لله في ذلك من الحكمة؛ فيوم القيامة لا تنفع الظواهر، ﴿**فَا للَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾.

وقوله سبحانه:﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾، ذهب كثير من المفسرين إلى أن المقصود بهذا النص يوم القيامة، حيث لا يكون للكافرين على المسلمين سبيل وحجة وضعَّف هذا ابن العربي. وذهب البعض إلى أنَّ ذلك في الدنيا؛ وإنه وعد من الله قاطع، وحكم من الله جامع: أنه متى استقرت حقيقة الإيمان في نفوس المؤمنين؛ وتمثّلت

[1] سورة النساء، الآية 141.

في واقع حياتهم منهجاً للحياة،ونظاماً للحكم، وتجرداً لله في كل خاطرة وحركة،وعبادة لله في الصغيرة والكبيرة ؛ فلن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.[1]

وهذه حقيقة لا يحفظ التاريخ الإسلامي كله واقعة واحدة تخالفها! وما من شك أن الهزيمة لا تلحق بالمؤمنين، ولم تلحق لهم في تاريخهم، إلا وهناك ثغرة؛ إمَّا في الشعور، وإمَّا في العمل.وبقدر هذه الثغرة تكون الهزيمة الوقتية، ثم يعود النصر للمؤمنين حين يعودون مؤمنين مسلمين.[2]

ووردت في تفسير البيضاوي الآية الكريمة :" **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**" سورة النساء الآية 141؛حينئذ أو في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة، واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم، والحنفيةُ على حصول البينونة بنفس الارتداد، وهو ضعيف لأنه لا ينبغي أن يكون إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة.[3]

"أما في تفسير **ابن كثير**:قوله تعالى ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾؛ أي: بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة فلا تفتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهراً في

---

[1] ينظر:أ.د مصطفى مسلم، إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **المجلد الثاني:"النساء–الأنعام"**،المصدر السابق،ص243–244.

[2] ينظر: أ.د.مصطفى مسلم، المصدر،المصدر السابق، ص244.

[3] القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصَّهُ، محمد صبحي بن حسن حلاَّق والدكتور محمود أحمد الأطرش، **تفسير البيضاوي المسمى أنوارُ التنزيل وأسرارُ التأويل**، دار الرشيد،بيروت–دمشق، مؤسسة الإيمان،بيروت–لبنان، ط1421،1هـ–2000م، المجلد الأول، الجزء الخامس، ص403.

الحياة الدنيا، لما له في ذلك من الحكمة، فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور وقوله:﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ سورة النساء الآية141؛ **قال عبد الرزاق:** أنبأنا الثوري عن الأعمش، عن ذرٍ،عن سبيع الكندي، **قال:**جاء رجل إلى علي بن أبي طالب **فقال:**كيف هذه الآية:﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾؛**فقال علي رضي الله عنه:** أدنه أدنه،﴿ **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾؛وكذا روى **ابن جرير** عن عطاء الخراساني، عن **ابن عباس:**﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾، قال: ذاك يوم القيامة؛ وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي، يعني يوم القيامة وقال السدي:سبيلاً أي حجة ، ويحتمل أن يكون المعنى﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾".[1]

2-اللـــــــحاق:

هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله ويمكن توضيح هذا الركن بمثال في:قوله تعالى:﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾" سورة المائدة 119"؛في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"مصطفى مسلم" كالآتي بقول الله وقد رد عيس عليه السلام على ما سأله الله عنه، وكانت إجابته شافية، وكان صادقاً فيما قال ... وقال تعالى:﴿**هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾، هذا يوم الانتفاع بالصدق،فالذين صدّقوا المرسلين واتبعوهم وجاءوا الله

[1] ينظر:الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفراء إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي، المجلد الثاني:"النساء-الأنعام"، المصدر السابق ،ص 260-261.

بصالح العمل، ينفعهم هذا التصديق، فمن صدق واتبع فالجنة مثواه لقوله تعالى:﴿ **لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾.[1] فالجنة ذات الأنهار المتعددة جزاء الصادقين يعيشون فيها مخلدين أبدًا، رضي الله تعالى على سلوكهم وطاعتهم، وهم رضوا عنه فيما أعطاهم مقابل هذا الإيمان والتصديق.

والآن يختم الله تعالى بهذه الآية بمثل ما بدئت به السورة (سورة المائدة) بدئت بالحديث عن الوفاء بالعهود والعقود، وختمت بالذين أوفوا بعقود الله معهم فكان جزاؤهم يوم القيامة هذه المقالة الطيبة من الله تعالى:﴿ **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾؛الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه، والتزموا بما أمرهم به ونهاهم عنه، هذا يوم الجزاء والجزاء قوله تعالى:﴿ **جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضى الله عنهم**﴾.بما فعلوه وما التزموا له وما صدقوا فيه ورضوا عنه ورضوا عن جزائه لهم.[2]

[1] سورة المائدة، الآية 119.

[2] ينظر:أ.د.مصطفى مسلم ، المصدر السابق، ص391.

المبحث الثالث: التأويـــل في القرآن الكريـــم

إن الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة التأويل وتاريخها هي تاريخ صراع وحوار وجدل التأويلات والتفاسير الدائر والمنشغل بالنص الديني الإسلامي ممثلا ذلك في مصادره الأساسية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لذلك اهتمت به كل الفرق والملل والنحل الإسلامية، لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ**

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[1]، فسوف أوضح في هذا المبحث مفهوم التأويل وشروطه وأنواعه في آيات قرآنية وهي كالآتـــي:

أولا: من حيث المفهـــوم

فالتأويل من آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع إليه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: (التأويل، التفسير، والمرجع والمصير).

وقد قيل إن قوله تعالى: ﴿**وَأَحْسَنُ تَاوِيلاَ**﴾[2] أي جزاء، وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليـــه.

وكذا قالوا في قوله جل ثناؤه: **(وما يعلم تأويله إلاّ الله)** أي لا يعلم الآجال والمدد إلا الله لأن القوم قالوا في مدة هذه الملة ما قالوه، فأعلموا أن مال الأمر لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه، واشتقاق الكلمة من المال، وهو العاقبة والمصير ومن يقال: تأول فلان الآية الفلانية: أي نظر إلى ما يؤول إليه معناها.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كان لفظ التأويل في عرف السلف، يراد به ما أراده الله تعالى بلفظ التأويل في مثل قول: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾[3].

---

[1] سورة النساء، الآية 59.

[2] سورة النساء، الآية 59. سورة الإسراء، الآية 35.

[3] سورة الأعراف، الآية 53.

وقولــه:﴿**ذلِكَ خَيرُ وأَحْسَنُ تاوِيلاً**﴾، ﴿**ويُعَلِّمُكَ من تَاوِيلِ الأحاديث**﴾، ﴿**وقال الذي نجا منْهُمَا واذّكَرَ بَعْدَ أُمّةٍ انَا أُنَبنكم بَتاوِيلهِ**﴾، ﴿**وقَالَ يأَبَتِ هذا تاوِيلُ رُءْيىَ من قَبل**﴾[1].[2]

وورد الآية السادسة من سورة يوسف في التفسير الموضوعي لسورة القرآن الكريم " د. مصطفى مسلم" فيما يأتي:

قوله تعالى:﴿ **وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ** ﴾[3]؛ فقوله تعالى يوضح تعبير الرؤيا، وبيان ما تؤول إليه الأحاديث الصادقة، كالكتب السماوية ونحوها، وهذا مقطع من سورة يوسف لما فيها من الأدلة على صدق بنوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قصّ على قومه هذه القصة الطويلة ألا وهي " قصة يوسف" وهو لم يقرأ كتب الأوليين ولا دارس أحدا، وهو بين أظهرهم صباحاً ومساء، وهو أمّيٌ لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة....وتأويل الرؤى علم، فلا يجوز لأحد أن يؤولها بدون علم؛ وكثير من الناس من يزعمون أنهم يعلمون تأويل الرؤى بغير علم فيضلون ويُضلون.[4]

وفي موطن من المواطن عند تأويل قوله تعالى:﴿**وإذا قضَىَ أمْرَاً فإنَمَا يَقُولَ له كُنّ فَيكونّ**﴾ يذكر أن الأولى بالصواب أن يقال: (هو عام في كل ما قضاه الله وبرأه، لأن ظاهر ذلك ظاهر عموم وعير جائزا حالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان).

---

[1] سورة يوسف، الآية 37_45_100.

[2] الدكتور محمد أديب صالح، **تفسير النصوص في الفقه الإسلامي**، دراسة مقارنة لمناهج العلماء في استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، المجلد 1، ط3، 1404هـ 1984م، ص 356_357_358.

[3] سورة يوسف، الآية 06.

[4] ينظر: د.مصطفى مسلم، المصدر السابق، ص 510_511.

ومما ذكره صاحب " مفتاح الوصول" من التأويل: الإضمار، وقد مثّل له باحتجاج القائلين بجواز عبور المسجد للجنب بقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا** ﴾.[1]

إذ أضمر أصحاب هذا القول محذوفا مقدرا وهو (موضع الصلاة) فكان تأويل قوله تعالى: ﴿ **لا تَقْرَبُوا الصَلاة**﴾ أي لا تقربوا موضع الصلاة.

والذي ساعدهم على هذا التأويل: أنه لما استثني من النهي عابرو السبيل، دل ذلك على أن المراد موضع الصلاة، وهو المسجد لا الصلاة نفسها، وتقييد جواز العبور بالسفر، بأن يراد بعابري السبيل، المسافرون لا دليل عليه، والعبور إنما يكون في المسافات القصيرة.[2]

والقول بجواز العبور في المسجد: ذهب إليه ابن مسعود وابن عباس والشافعي، وأصحابه رحمهم الله.[3]

ثـانيـــا: شروط التأويـــل

للتأويل أربعة شروط تتمثل فيما يلي:

1_ أن يكون الناظر المتأوّل أهلاً لذلك.

---

[1] سورة النساء، الآية 43.

[2] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 375_378_379.

[3] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع نفسه، ص 379.

2_ أن يكون اللفظ قابلا للتأويل، بأن يكون اللفّظ ظاهراً فيما صرف عنه، محتملا لما صرف إليه.[1]

3_ أن يكون المؤول به يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار، أي أن يكون موافقا لوضع اللغة، أو عُرف الشرع، أو عرف الاستعمال.[2]

_ قصر العام على بعض أفراده.

_ تقييد مطلق.

_ حمل اللفظ على معناه المجازي.

فهذا تأويل صحيح بحيث أنه جائز لفظاَ وعُرْفاً، لأن العام يحتمل التخصيص، والمطلق يحتمل التقييد، واللفظ يحتمل أن يدل على معناه المجازي...[3]

4_ أن يقوم دليل التأويل الذي يوجب صرف اللّفظ عن ظاهره، وأن يكون هذا التحليل الصارف راجحا،[4] فالاحتمال المرجوع يحتاج إلى دليل يعضده ويقويه حتى يقدم على الظاهر وهذا الدليل...، قد يكون قرينة، أو ظاهراً آخر، أو قياساً، أو نصاً شرعياً أو مبدأ من مبادئ الشريعة.[5]

---

[1] الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، المرجع السابق، ص 50.

[2] الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المرجع السابق، ص 177.

[3] البرديسي، محمد زكريا، أصول الفقه الإسلامي، المرجع السابق، ص 104.

[4] الأمدي، المرجع السابق، ص 50.

[5] الغزالي، المستصفى من علم الأصول، المرجع السابق، ص 245.

سوف نوضح هذا الأخير من هذه الشروط في آية قرآنية لقوله تعالى:﴿**حُرِّمَتْ عَلَيكُمَ المَيْتَةُ**﴾ ظاهر في تحريم جلدها دبغ أو لم يدبغ؛ لأن اللفظ عام يتناول جميع أجزائها غير أن في الآية احتمال أن يكون غير مراد بالعموم، من جهة أن إضافة التحريم إلى الميتة يقتضي عرقا تحريم الأكل، والجلد غير مأكول فلا يتناوله عموم التحريم.[1]

وقد قوي هذا الاحتمال بما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أيُّها إهاب دبغ فقد طهر" والحديث ظاهر عام، يتناول بعمومه إهاب الميتة.

ولكن حديثاً آخر ورد في شاة أهديت أولاة ميمونة، فماتت، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عباس: " هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به" فقالوا: إنها ميتة: فقال إنما حرم أكلها".

فهذا النص جعلنا نحكم بسلامة التأويل الذي يقضي بإخراج ما دبغ من جلود الميتة، وجلّ الانتفاع به، من عموم التحريم في الآية الكريمة.

ومثل ذلك ما ورد في شأن الدم من الآية نفسها: قوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُم الميتَةُ والدَّمُ**﴾ يشمل بعمومه تحريم الدم المسفوح، وغير المسفوح وقد صرف هذا العام عن عمومه بقوله تعالى:﴿ **لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً** ﴾؛ فأفادت الآية الثانية تخصيص الآية الأولى: وذلك بيان أن المراد بالدم المحرم هو الدم المسفوح، وهكذا تساعد الآية الثانية التي ذكر فيها الدم المسفوح على تأويل الدم في

[1] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 285.

الآية الأولى، وهو ظاهر عام يشمل المسفوح وغيره، والمراد بالدم المسفوح في قوله تعالى؛ الحرام وما عدا حلال.

وقد يمثل لتأويل الظاهر بالقياس الراجح، بمسألة الإطعام في كفارة القتل، فالله تعالى لم يذكر الإطعام في كفارة القتل الخطأ، وترك ذلك ظاهر في عدم وجوبه، إذ لو كان واجباً لذكره كما ذكر كل من التحريم والصيام، وعلى مذهب من يرى أن القياس على نحو هذا الباب يمكن إثبات الإطعام في كفارة القتل قياسا على إثباته في كفارة الظهار والصيام؛ لأن الكافرات حقول الله تعالى جل ثناؤه، وحكم الامتثال واحد؛ فثبوت الإطعام في تلك الكافرات تنبيه على إثباته في كفارة القتل وسيأتي لذلك نظائر في حينها إن شاء الله.[1]

ومن تأويل **الظاهر بغرض الشارع أو حكمة التشريع:** تأويل الحنفية في شأن الزكاة بعض الذوات بقيمتها: ففي قوله صلى الله عليه وسلم: " في سائمة الغنم في كل أربعين شاة شاة" صرفوا نص الحديث عن ظاهره الدال على أن الذي يجزئ عن الأربعين شاة: شاةُ بعينها، وإلى قيمة الشاة المالية، فليس الضروري عندهم عين الشاة، بل يمكن أن تجزئ القيمة، ذلك أن حكمة التشريع نفع الفقير ونفع الفقير، كما يتحقق بالشاة، يتحقق بقيمتها، بل قد يكون من الأنفع للفقير أن يعطى القيمة.[2]

ثالثا: من حيث أنواعـــــه

أنواع التأويل تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

---

[1] ينظر: الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 386_387.

[2] الدكتور محمد أديب صالح، مرجع نفسه، 387_388.

1_ التأويل الصحيح: وهو نوعان:

أ_ التأويل القريب.

ب_ التأويــل البعيد.

2_ التأويل الفاسد.

3_ التأويل الباطل المردود.

من خلال هذه الأنواع سوف أخصص النوع الأول بالتمثيل له في آيات قرآنية فيما يلي:

1_ التأويل الصحيـح: وهو نوعان:

أ_ التأويل القريب: ما روى **البيهقي عن الشافعي** في قوله تعالى: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾[1]؛ أنه قال (إلا وجهها وكفيها)، فتأول الشافعي (ما ظهر منها) بالوجه والكفين، إذ هما مظنة الظهور ورجح تأويلّه ما روى عن عائشة أن أسماه بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه دخلت عليها، وعندها النبي صلى الله عليه وسلم، في ثياب شامية رقاق، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأرض ببصره.[2]

وقال: ما هذا يا أسماء، وإن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى كفه ووجهه".

[1] سورة النور، الآيـة 31.

[2] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 390.

ومنه أيضا: تأويل الصلاة بالعزم عليها في قوله جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾.[1]

فإن القيام إلى الصلاة في هذه الآية مصروف عن معناه الظاهر إلى معنى قريب محتمل، وهو العزم على أداء الصلاة.

والذي رجح هذا الاحتمال أن الشارع لا يطلب الوضوء من المكلفين بعد الشروع في الصلاة، إذ الوضوء شرط لصحتها، والشرط يوجد قبل المشروط لا بعده، وهو معنى قريب يتبادر فهمه بمجرد قراءة الآيـة أو سماعها.[2]

وجاء قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾؛ في تفسير ابن كثير "تفسير القرآن العظيم" كالآتي حيث:

قال كثيرون من السلف: قولـه: ﴿**إِذَا قُمتُمُ إِلَى الصّلَوةِ**﴾: معناه وأنتم مُحْدِثون وقال آخرون: إذا قُمْتُمُ من النوم إلى الصلاة، وكلامها قريب.

وقال آخرون: بل المعنى أعم من ذلك، فالآيـة أمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن هو في حق المحدث على سبيل الإيجاب، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب، وقد قيل: إن الأمر بالوضوء لكل صلاة كان واجباً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ.

---

[1] سورة المائدة، الآيـة 06.

[2] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 390_391.

وقال **ابن جرير**: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت مسعود ابن على التسياني، سمعت عِكْرِية يقول: كان علي رضي الله عنه، يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ** ﴾[1].[2]

حدثنا **أبو كُرَيْب**، حدثنا **معاوية بن هشام عن سفيان، عن جابر**، عن عبد الله بن أبي بكر بن عَمْرو بن حزم، عن عبد الله بن عَلْقمة بن الفَغْواء، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا، ونسلم عليه فلا يرد علينا، حتى نزلت آية الرخصة:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ** ﴾.[3]

وقوله تعالى:﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ قد استدل طائفة من العلماء بقوله جل ثناؤه: ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ على وجوب النية في الوضوء؛ لأن تقدير الكلام:" إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم لها" كما تقول العرب: " إذا رأيت الأمير فقم" أي: له وقد ثبت في الصحيحين حديث: " الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"؛ ويستحب قبل غسل الوجه أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه؛ لما ورد في الحديث من طرق جيدة، عن جماعة من الصحابة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه".

---

[1] سورة المائدة، الآية 06.

[2] ينظر: للحافظ أبي الغراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الثالث:"المائدة_الأعراف"، 1418هـ_1995م، الطبعة الثانية 1420هـ_1999م، ص 43_44_45، (بتصرف).

[3] سورة المائدة، الآيــة 06.

وقوله: ﴿ **وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ أي: مع المرافق، وقد روى **الحافظ الدار قطف وأبو بكر البيهقى**، من طريق القاسم بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جده عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث، وجده ضعيف، والله أعلم.

وقوله :﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** ﴾، اختلفوا في هذه الآية "الباء" هل هي للإلصاق، وهو الأظهر، أو للبعيض؟ وفيه نظر، على قولين، ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة، وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك، عن عمر وبن يحي المازنى عن أبيه: أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم، وهو جد عمر وبن يحي، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل تستطيع أن تريني كيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم، فدعاء بوضوء، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضمض واستنشق ثلاث، وغسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ثم مسح بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه. [1]

[1] للحافظ أبي الغراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المصدر السابق، ص 46_47_49_50.

وقوله:﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾قُرئ " **وَأَرْجُلَكُمْ**" بالنصب عطفا على " **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ**"؛ **وقال ابن أَبي حاتم:** حدثنا **أبو زُرْعَة،** حدثنا **أبو سلمة،** حدثنا **وُهَيْب عن خالد عن عكرمة، عن ابن عباس،** أنو قرأها: " **وَأَرْجُلَكُمْ**" يقول: رجعت إلى الغسل.[1]

[وعليه يكون التأويل القريب في هذه الحالة صحيح ومقبول، أي: جمل قراءة الخفض على قراءة النصب].

ب_ التأويل البعيـــــد:

ومن التأويل البعيد ما جنح إليه القائلون بوجوب مسح الرجلين في الوضوء لا غسلهما وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾.[2]

وقد احتجوا بقراءة الجر في قوله: **(وَأَرْجُلَكُمْ)** وأن ذلك كان عطفا على قوله برؤوسكم كما سبق ذكره في تفسير ابن كثير "التأويل القريب"؛ وقراءة الخفض قراءة صحيحة سبعية، فجور التأويل بالمسح عندهم هذا الاحتمال الذي جاء من هذه القراءة.

ولكن في الآثار واللغة ما يجعل هذا التأويل بعيدا، فقد ثبت في الصحاح مداومته صلى الله عليه وسلم على غسل الرجلين، ولم يثبت المسح عنه من وجه صحيح، وأمر يثبت المسح عنه من وجه صحيح، وأمر بالغسل صراحة، وذلك فيما ورد من حديث جابر رضي الله عنه: " أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأنا للصلاة أن نغسل أرجلنا"، كما

[1] للحافظ أبي الفراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، مصدر نفسه، ص 51.

[2] سورة المائدة، الآية 06.

ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ غسل فيه قدميه: " فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم" ولا شك أن المسح بالنسبة للغسل نقص.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للإعرابي: " توضأ كما أمرك الله، ثم ذكر له صفة الوضوء، وفيها غسل الرجلين" وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لم يغسل عِقبة فقال: وْيلُ للأعقاب من النار" وقد أجمع الصحابة أيضا على الغسل.[1]

وإلى جانب هذه الآثار، ثبت عن العرب استعمال المسح بمعنى الغسل، إذ أن المسح في كلامهم يكون غسلا ويكون مسحا، ومن يقال: مسح الله ما بك، أي غسلك وطهرك من الذنوب، ولذا قالوا: أن المراد بقراءة الخفض هو الغسل بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، ثم: إن قراءة النصب في **(وَأَرْجُلَكُمْ)** صريحة في عطف الأرجل على الأيدي، فتحمل قراءة الخفض على المجاورة، على أن هنالك أثارا عن الصحابة، تعطي أن المسح في الرأس إنما دخل بين ما يغسل؛ لبيان الترتيب في المفعول قبل الرجلين، والتقدير: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم)؛ هذا: وقد ذكر القرطبي في تفسيره عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قرأ الحسن والحسين رحمة الله عليهما، على عليَّ "وأرجلكم" أي بالخفض فسمع علي ذلك وكان يقضي بين الناس فقال " وأرجلكم" يعني بالنصب هذا من المقدم والمؤخر من الكلام، روى عنه "اغسلوا الأقدام إلى الكعبين"... وهكذا

[1] الدكتور محمد أديب صالح، المرجع السابق، ص 391_392.

يكون تأويل الآية بترك الغسل للرجلين، والاكتفاء بالمسح، تأويلا بعيدا، ويكون التأويل القريب المقبول، حمل قراءة الخفض على قراءة النصب، لما ثبت من الآثار، ولما يشهد به صحيح اللغة واستعمال من بلغتهم أنزل الكتاب...ومن التأويل البعيد أيضا: ما نسب إلى الشافعية في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " من ملك ذا رحمٍ محرم فهو حر" فقد حملوا ذا الرحم المحرم، على من هم عمود النسب فقط، وهم الأصول والفروع وممن ذكر ذلك عنهم: أحد كبار أئمتهم الجويني وتابعه الآمدي وآخرون، وإضافة إلى ذلك ما قاله إمام الحرمين في البرهان: " إن صح أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: " من ملك ذا رحم محرم فهو حر" فلا يصح تأويل متبعي الشافعية إذ يؤولون بحمل اللفظ على الذين هم عمود النسب وهم الأصول والفروع). هذا ما ذكره إمام الحرمين الجويني.[1]

أما يدل عليه الحديث من الحكم، وموقف الشافعي ومن تبعه؛ فالذي ذكره الخطابي في معالم السنن: أن أكثر أهل العلم على أن من ملك ذا رحم محرم عتق عليه، روي ذلك عن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما، ولا يعرف لهما مخالف في الصحابة وهو قول الحسن، وجابر بن زيد، وعطاء والشعبي، والزبير، والحكم، وحماد وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه وسفيان وأحمد وإسحاق وقال الإمام مالك: يعتق عليه الولد، والوالد والإخوة، ولا يعتق عليه غيرهم. قال أبو سليمان: (وقال الشافعي: لا يعتق عليه إلا أولاده وأباؤه وامهاته ولا يعتق عليه أحد من ذوي قربته ولحمته)، وتأويل الحديث على شكل

[1] ينظر: الدكتور محمد أديب صالح، المرجع نفسه، ص 392_393، 394.

يخصص ذوي الرحمن المحرم يعمود النسب الذين هم الأصول والفروع فقط، تأويل بعيد.... فالحديث كما يبدو ظاهر الورود في تأسيس قاعدة وتمهيد أصل في سياق الشرط والجزاء، والتنبيه على حرمة الرحم المحرم وصلته.

وهو قوي الظهور في قصد التعميم في هذا الحديث لكل ذي رحم محرم، وذلك مما يمتنع معه التأويل بالحمل على الأصول والفروع دون غيرهم.

وينسب إلى **الشافعي** ومن وافقه على هذا الحكم، الاستدلال بقياس قرابة غير الوالدين والأولاد على قرابة ابن العم؛ فقرابة ابن العم لا يتعلق بها رد الشهادة، ولا تجب بها النفقة مع اختلاف الدين، كما أنها لا توجب التعصيب، فلتكن قرابة غير الوالدين والأولاد كذلك؛ فلا توجب العتق بالقرابة.

وأمر آخر: هو أن هذا القريب، لو استحق على قريبه العتق عليه بالقرابة، لمنع من بيعه إذا اشتراه، وهو مكاتب كالوالد والوالد، غير أن هذا القياس لم يكن مرضيا عند الباحثين، لأنه في مقابل نصوص ناطقة بأن ملك ذي الرحم المحرم يوجب حريته.

قال **الشوكانـي**: (ولا يخض أن نصب مثل هذه الأقيسة في مقابلة حديث سموه وحديث ابن عمر مما لا يلتفت إليه منصف)، هذا ومما يزيد في بعد هذا التأويل: أنه لو كان القصد في هذا الحديث من هم عمود النسب دون غيرهم، لما كانت هناك حاجة إلى العدول عن تخصيصهم بالذكر، إلى النطق بصيغة عامة تشملهم، وتشمل غيرهم، والأصل أن الظاهر على ما يدل عليه، ولا دليل يعطي قصر ذي الرحم المحرم الوارد في الحديث

على فئة معينة من الأقرباء، إلا ما كان من القياس الذي لم يعتبر، لأنه جاء في مقابل نص سليم، قرر العلماء صلاحيته للاحتجاج، ومفهوم الخطاب فيه عام شامل.[1]

ولعل ذلك كله، هو الذي جعل المحققين من قديم يحكمون ببطلان هذا التأويل، وذلك ما قرره صاحب البرهان الذي جاء على ذكر هذا التأويل عند الشافعية ثم قال: (وهو باطل عند ذوي التحقيق).

وهكذا يكون تأويل " ذوي الرحم المحرم" بـ " من هم عمود النسب فقط" تأويلاً بعيداً بشهادة العلماء المحققين، ذلك أنه لا يستند إلى دليل يقوي على صرف الظاهر عن مدلوله العام في ذي الرحم المحرم، إلى ذلك المعنى الآخر البعيد، واحتمال بعيد هذا البعد، لا يكفي في ترجيحه الأدنى من دليل بل لا بد له من دليل قوي يتناسب مع بعد الاحتمال.[2]

[1] ينظر: الدكتور محمد أديب صالح، المرجع نفسه، ص 394_395.

[2] ينظر: الدكتور محمد أديب صالح، المرجع نفسه، ص 396.

يعتبر السياق البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة وتستمد أيضاً من السياق الاجتماعي، وسياق الموقف، وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجمع عناصره، من متكلم ومستمع وغير ذلك، من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها الكلام، أما التأويل هو إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله وليس هو الظاهر فيه. ويعتمد في صحتهما على التأليف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث هي:

_ تميز السياق بميزته ومفهومه عند كل من القدماء والمحدثين، فمن القدماء منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه، ابن جني، الجاحظ، الإمام الشافعي رضي الله عنه، فكل هؤلاء جعل من السياق، ما يُبينُ آخر لفظها منه عن أوله، وهو توافق معنى الكلمة مع معاني الكلمات الأخرى السابقة واللاحقة في التركيب الذي وردت فيه هذه الكلمة؛ أما فيما يخص المحدثين فكان ليهم تعريف خاص للسياق فمنهم: الدكتور تمام حسان، والدكتور فاضل السامرائي، ياكبسون، بحيث هو المضمون الذي يتمثّلهُ المرسل إليه، وهذا المضمون يكون إما لفظياً أو قابلاً لأن يصير كذلك؛

_ إلى جانب ذلك تميز التأويل بميزته ومفهومه أيضاً عند كل من القدماء والمحدثين، وكان منهم: بني أبو هلال، أبو حيان التوحيدي، عبد الستار الجواري بحيث اعتبروا التأويل، أنه استخراج معنى الكلام لا على ظاهره، بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقةً. أما نظرة

المحدثين للتأويل، ومن بينهم السيد أحمد عبد الغفار، والدكتور الخثران على أنه هو حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النحو.

_ إن للسياق أنواع تميزه عن أنواع التأويل.

_ السياق والتأويل من حيث طبيعتهما، تستدعي أصولاً فكرية من حيث تراكيبهما وصيغتهما وقد وضح هذه الأصول كل من القدماء والمحدثين.

_ تأويل القرآن الكريم مرتبط بسياقه.فمن خلال فهم معاني وعبارات النصوص على اختلاف أنواعها نستطيع تأويلها وذلك راجع إلى دور السياق في تحديد وضبط المعاني والعبارات ...وغيرها وبالتالي فيكون تفسيرها وتأويلها فائدة منهجية .

_ فالتأويل تسميات منه التأويل العقلي المنطقي والتأويل اللغوي النسقي، والتأويل السياقي التاريخي وهذه الأنواع من التأويل تعمل على ملأ الفجوات بما يتلاءم مع روح النصوص والخطابات وغيرها في سياقتها المتعددة وهذا ما يثبت صحة العلاقة بينهما .

_ فمن خلال هذا الطرح الذي يمثل حوصلة لكل من ماهية السياق والتأويل وعلاقتهما وارتباطهما مع بعضهما البعض (السياق والتأويل) في فهم نصوص القرآن الكريم حاولنا مما سبق عرض كل منهما وما قدمه القدماء والمحدثين في مضمار هذا الموضوع بطريقة بسيطة ليتسنى للدارس قراءة القرآن الكريم وفق هذا المضمار.

فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فمن توفيق من الله عزوجل، فصلى اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

1_ المصـادر:

الآيات القرآنيـــة:

_ سورة آل عمران.

_ سورة الإسراء.

_ سورة الأعراف.

_ سورة الأعلى.

_ سورة الأنبياء.

_ سورة الانشقاق.

_ سورة الأنعام.

_ سورة الأنفال.

_ سورة البروج.

_ سورة التوبة.

_ سورة الحجرات.

_ سورة الحديد.

_ سورة الغاشية.

_ سورة الرحمان.

_ سورة الشرح.

_ سورة الشورى.

_ سورة الضحى.

_ سورة الطلاق.

_ سورة الفاتحة.

_ سورة القلم.

_ سورة المائدة.

_ سورة المائدة.

_ سورة المطففين.

_ سورة المؤمنون.

_ سورة النحل.

_ سورة النســـاء.

_ سورة النور.

_ سورة الواقعة.

_ سورة ص.

_ سورة لقمان.

_ سورة مريم.

_ سورة يس.

_ سورة يوسف.

_سورة البقرة.

_ سورة هود.

_ سورة المسد.

_ سورة طه.

_ سورة القمر.

للحافظ أبي الغراء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزء الثالث:"المائدة_الأعراف"، 1418هـ_1995م، الطبعة الثانية 1420هـ_1999م.

الأصبهاني، تحقيق: د.علي جمعة، **بيان المختصر**، دار السلام، مصر، ط1 ،1424هـ-2004م، مجلد3.

ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد السيد الحليني، **دقائق التفسير**، مؤسسة علوم القرآن دمشق، ط2، 1404هـ.

ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، **الخصائص**، الهيئة المصرية كالعامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416هـ.

ابن منظور، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، **لسان العرب**، دار لسان العرب، بيروت، (د ت).

ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408_1988، ج10.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د.عمر الطباع، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، مكتبة المعارف، ط1، 1414هـ.

أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل، بيروت، ط2، 1420هـ.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، **إعـراب القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط3 1409هـ.

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: إبراهيم محمد، **الأمثـال في القرآن الكريم**، مكتبة الصحابة، مصر، ط1، 1406هـ.

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق هشام عطا وآخرون، **بدائع الفؤائد**، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، ط1، 1416.

أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت ط1، 1391هـ.

أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في أي التنزيل**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ.

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عامر الجزار أنور الباز، **مجموع الفتاوى**، دار الوفاء، ط3، 1426هـ، 2005م.

الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السامي، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، **الإمام في بيان أدلة الأحكام** دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1407هـ.

بدر الدين الرزكشي، تحرير: د. عمر الأشقر، **البحر الأبيض في أصول الفقه**، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ.

الجاحظ: تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، **البيان والتبيان**، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت).

جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، **معجم العين**، مؤسسة دار الهجرة مطبعة الصدر، ط2، ايران1409هـ.

د. نسيم عون، **الألسنية محاضرات في علم الدلالة**، دار الغارابي، بيروت، ط1، 2005م.

سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس، **معجم اللسانيات الحديثة**، إنجليزي عربي، مكتبة لبنان للنشر.

سيبويه، تحقيق: الأستاذ عبد السلام محمد هارون، **الكـتاب**، دار الجيل، بيروت، ط1 ، د.ت، ج2.

الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، **الرسالة**، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1399هـ.

عبد الفتاح أحمد يوسف، **قراءة النص وسؤال الثقافة**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999.

عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رضوان الداية، فايز الداية، **دلائل الإعجاز**، دار الفكر، دمشق، ط1،1428 هـ.

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الدين، **البرهان في أصول الفقه** مكتبة الوفاء_المنصورة، مصر، ط4، 1417هـ.

عثمان بن جني الموصلي، **المحتسب**، تحقيق: دار مزكين، اسطنبول، ط2، 1406هـ.

محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1415 هـ.

محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحقيقين، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.

محمد يوسف حبلص، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1991.

محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: أحمد خلق الله، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، دار صادر، بيروت، ط1، 1411هـ.

منقور عبد الجليل، **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001.

الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي(1993م) وإبراهيم السامرائي(2001م)، **معجم العين**، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1988.

ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3 ،1994، **(مادة أول)**، ص130_52.

الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، **معجم تهذيب اللغة**، ط1، القاهرة، 1946، ص296.

ابن منظور، **لسان العرب**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1402هـ، ج13.

الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

الجويني، تعليق: صلاح بن محمد بن عويضة، **البرهان في أصول الفقه**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1 ،1418هـ-1977م.

[1] ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي الأندلسي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، **النبذ في أصول الفقه**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،1401 هـ- 1981م.

حيدر الآملي، تحقيق: السيد محسن الموسوي التبريزي، **تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضّم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم**، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط1، 1414هـ-ج1.

الشاطبي، الإمام جلال الدين، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، **الإتقان في علوم القرآن**، دار الفجر للتراث القاهرة، ط1 ،1427هـ-2006م.

الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1990م، ج4.

عبد الرازق، أبو بكر ابن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، **المصنف**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2 1403هـ، ج9.

الطوفي، تحقيق: د. عبد الله بن المحسن التركي، **شرح المختصر الروضة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ-1987، ج1.

الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر آخرون، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت، "باب ما جاء في الرجل يسلم عنده عشرة نسوة "، ج1.

ابن خلدون، **المقدمة**، طبعة كتاب التحرير، القاهرة، 1966.

2_ المــراجــع:

أ_ الكتب:

الشنقيطي، **مذكرة في أصول الفقه**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5 ،1422هـ-2001م.

ابن قدامة، **روضة الناظر وجنة المناظر**، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.

الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، د.ط، د.ت، ج1.

هيتو، **الوجيز في التشريع الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

الزحيلي، وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر، بيروت، ط2، 1418هـ-1998م، ج1.

الترمذي: **سنن الترمذي**. حديث رقم (621)، ج3.

صلاح عبد الفتاح ألخالدي، **تعريف الدارسين**، بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط1، 2002م.

أبو حامد الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، المجلد1، 1322هـ-1960م، ص387.

جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعة الحلبي، القاهرة، ج2، 1935م.

ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، طبعة الخانجي02، ج1 ،1403هـ-1973م.

ابن الهمام، **التحرير**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ط، 1350هـ.

إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986م.

إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار"، **المعجم الوسيط**، مطبعة مصر، 1960.

ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن**، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1934م، (قراءة شاذة)،

أحمد قدور، **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1996/1416.

إسماعيل بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ.

محمد بن محمد الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان، ط4، 1403هـ.

أولمان ستيفن، ترجمة: كمال بشير، **دور الكلمة في اللغة** ، مكتبة الشباب، القاهرة، ط3، 1972.

تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة،" مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1994.

جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د.بوئيل عزيز، **اللغة والمعنى والسياق**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.

د. أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت، 1982.

د. عبد القادر عبد الجليل، **علم اللسانيات الحديثة**، دار الصفا للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ_2002م.

د. محمد أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ

د. محمد عبد الحفيظ العريان، **المعنى يبين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية**، في قصة محمد بن المؤهل للجاحظ، ط1، 1414هـ.

د.طاهر سليمان حمودة، ابن قيم الجوزية، **جهوده في التفسير اللغوي**، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط1، 1396هـ.

الدكتور حسين حامد حسان، **المدخل إلى الفقه الإسلامي**، مكتبة المتبني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1979م.

الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ_2001م.

الطبري، تحقيق: بشار عواد عصام فارس الحرستاني، "**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن**" مؤسسة الرسالة، د.ط، 2014م.

عبد الرحمن بودرع، **منهج السياق في فهم النص**، سلسلة كتاب الأمة، العدد 111، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، السنة السادسة والعشرون.

عبد الواحد حسن، **التنافر الصوتي والظواهر السياقية**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1999.

عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، دائرة المكتبات والوثائق المدنية، عمّان، ط1، 1409هـ.

عودة خليل أبو عودة، **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985م.

فريد عوض حيدر، **سياق الحال في الدرس الدلالي "تحليل وتطبيق**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988.

فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، **علم الدلالة النظرية والتطبيق**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2008.

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت ط5، 1416هـ.

محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ.

نادية رمضان النجار، **اللغة العربية وأنظمتها بين القدماء والمحدثين**، مراجعة وتقديم:عبده الراجحي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

جميل صليبيا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ج1، 1982م.

علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص25.

إبراهيم أمين الزرزَمُوني، تقديم الأستاذ الدكتور عز الدين، **تأويل الخطاب الشعري "النظرية والتطبيق محمد أجمد الغرب نموذجاً** "، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م.

أبو محمد الحسن بن مسعود(الفّراء البغوي)، **معالم التنزيل في التفسير**، طبعة المنارة، القاهرة، 1345 هـ.

ابن رشد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، مكتبة التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1987م.

الإمام محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**، دار الفكر العربي، د.ط، 1417هـ.

د.خنجر علي حمية، العرفان الشيعي، **دراسة في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الآملي**، دار الهادي، "فلسفة الدين والكلام الجديد"، ط1، 1425هـ.

الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت،ص50.

الشوكاني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، ط1، 1356هـ، 1937م.

البرديسي، محمد زكريا، **أصول الفقه الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 1984.

الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، مكتب التحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

البخاري، **صحيح البخاري**، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،1322هـ-2001م.

إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 2000، باب اللوق، القاهرة.

د. عبد الفتاح عبد الحليم البركاوي، **دلالة السياق بيت التراث وعلم اللغة الحديث**، "دراسة تحليلة للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبة في ضوء نظرية السياق"، دار الكتب 1991/10082.

محمد أديب صالح، **تفسير النصوص في فقه الإسلامي**، المكتب الإسلامي، (بيروت، دمشق)، ط3، 1404هـ_1984م، المجلد الأول.

منقور عبد الجليل، **النص والتأويل " دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2010م.

د. بثينة الخلاصي، **النص والتأويل في الخطاب الأصولي " آليات القراءة وسلطة التناص**"، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.

الدكتور محمد أديب صالح، **تفسير النصوص في الفقه الإسلامي**، دراسة مقارنة لمناهج العلماء في استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، المجلد 1، ط3، 1404هـ 1984م.

ب_ المجلات:

التأويل النحوي وإسقاطاته عند ابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل، أ.د.بوجعلين لبوخ، أ.مهدي عز الدين شنين، " **مجلة الأثر**"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، العدد20/جوان/2014.

التأويل والتحويل في النحو العربي وموقف المحدثي، د.سلام عبد الله محمود عاشور" أستاذ مشارك في النحو العربي والصرف"، " **مجلة جامعة تكريت للعلوم**"، جامعة الأقصى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، المجلد19، العدد11، تشرين الثاني، 2012.

المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي مقالة، مسعود صحراوي، نشرت في **مجلة الدراسات اللغوية**، إصدار: مركز الملك فيصل البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية المجلد الخامس، العدد الأول.

ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، الدكتور محمد إسماعيل بصل، وفاطمة بله، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، فصيلة محكمّة، العدد الثامن عشر صيف1393هـ_2014م.

" التأويل وتحليل المحتوى في البحث العلمي الإنساني والإجتماعي"، أ.عقلية. مصطفى **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد (2009/04): رمّد(1112-7163)، المركز الجامعي-غرداية.

التأويل البعيد القريب وأثرهما في الحكم الأصولي، د.نبيل محمد غريب شبيب الزبيدي، "**مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، جامعة الموصل، المجلد10، العدد04، (2011/02/13م-2011/05/05م).

" التأويل وتعدد المعنى"، أ.دندوقة فوزية، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة محمد خيضر –بسكرة–العدد الرابع، جانفي2009.

فاعلية السياق في عملية التأويل النحوي، الأستاذة ميس سعاد، **مجلة الباحث دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة)**، جامعة ابن خلدون، تيارت (كلية اللغات والآداب)، العدد الثالث، 2012.

السياق غير اللغوي في النص القرآني، خليل خلف بشير العامري، **مجلة جامعة بابل**، جامعة البصرة، كلية الآداب المجلد 15، العدد 04، 2008.

ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، فصيلة محكمة، العدد الثامن عشر، 1393هـ_2014م.

ج_ المـذكـــــرات:

أ.د.صادق عبد الله أبو سليمان، إعداد الطالب: رياض محمد علي أبو رحمة، رسالة ماجيستير عربية_علوم لغوية،" **التأويل النحوي في جزء عم(دراسة تحليلية** ، جامعة الأزهر–غزة.عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (1991م–1412هـ).

أكرم نعيم عطوان الحميداوي، بإشراف: أ.د.فاخر جبر مطر، رسالة ماجستير في الغة العربية وآدابها،" **التأويل النحوي عند الفخر الرازي (ت606هـ) في مفاتيح الغيب**، جامعة الكوفة،كلية الآداب–قسم اللغة العربية، (1429هـ–2008م).

علي بن محمد بن أحمد الشهري، إشراف الأستاذ الدكتور/سعد بن حمدان الغامدي، رسالة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها تخصص النحو والصرف " **التأويل النحوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير الفخر الرازي**، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا فرع اللغة 1426هـ.

محمد نجم الدين أنجه وعز الدين محمد أمين سليمان، **السياق بين القدماء والمحدثين** جامعة صلاح الدين، كلية اللغات قسم اللغة العربية، تاريخ الاستسلام 2012/01/04، تاريخ القبول 2012/02/02.

إبراهيم محمد طه بويداين، إشراف الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة، رسالة ماجستير: "**التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين دراسة أصولية فكرية معاصرة**، جامعة القدس، (قسم الدراسات الإسلامية، الدراسات العليا)،2001.

الزركشي بدر الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1391هـ،ج2.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: د.عمر الطباع ، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**.

د. عبد الله بن محمد الجيوسي، " ورقة عمل مقدمة لـ ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية، جامعة القصيم"، " **ترجيحات العلامة ابن عثيمين في التفسير (دلالة السياق نموذجا)**"، جامعة اليرموك، الأردن.

الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي العزاء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، صححها لجنة من الأساتذة المختصيين بإشراف الناشر، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1410_1990.

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة،بن نصر الكرماني"تاج القرَّاء"،تحقيق وشرح وتعليق: د.السيد الجميلي، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، مركز الكتاب للنشر، مصر الجديدة–القاهرة:1993/7/21.

ابن عطية، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، **المحرر الوجيز**، المكتبة العصرية، بيروت 1988،ج1.

الزمخشري، تصحيح محمد عبد السلام شاهين، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1415،1هـ،ج3.

د.مصطفى مسلم، إعداد:نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة،**المجلد الخامس "الأنبياء -العنكبوت"**،ط1431،1هـ-2010م.

.

العنـــــوان	الصفحـة
البسملة	
دعاء	
شكـــر وتقدير	
إهـداء	
مقـــدمة	أ–و
مـــــدخـل	01
الفصل الأول: الإطار النظري لماهية السياق	
المبحث الأول: مفهوم السياق	19
المبحث الثاني: أهمية السياق	28
المبحث الثالث: أنواع السياق	46
المبحث الرابع: أركان السياق	60
الفصل الثاني: الإطار النظري لماهية التأويل	
المبحث الأول: مفهوم التأويل	67
المبحث الثاني: أهمية التأويل	75
المبحث الثالث: شروط التأويل	78
المبحث الرابع: أنواع التأويل	84
الفصل الثالث: علاقة السياق بالتأويل وتطبيقها في القرآن الكريم	
المبحث الأول: علاقة السياق بالتأويل	92
المبحث الثاني: السياق في القرآن الكريم	105
المبحث الثالث: التأويل في القرآن الكريم	128
خـاتمـة	144
قائمة المصادر والمراجـع	147